

الجمهورية التركية
جامعة وان يوزنجويل
معهد العلوم الاجتماعية
قسم العلوم الإسلامية الأساسية

الإيمان عند القاضي عبد الجبار والقاضي الباقلاني

رسالة الماجستير

إعداد البحث

فراس نجم عبدالله

إشراف

الدكتور متين يلدر

2020 - وان

T.C
VAN-YÜZÜNCÜ YIL ÜNİVERSİTESİ
SOSYAL BİLİMLER ENSTİTÜSÜ
TEMEL İSLAM BİLİMLERİ ANABİLİM DALI

KÂDÎ ABDÜLCEBBÂR VE KADÎ BÂKILLÂNÎ’NİN İMAN
ANLAYIŞI

YÜKSEK LİSANS TEZİ

Hazırlayan
Firas Najm ABDULLAH

Danışman
Dr. Öğr. Üye. Metin YILDIZ

VAN – 2020

(رسالة الماجستير)

فراس نجم عبدالله

جامعة وان يوزنجويل

معهد العلوم الاجتماعية

2020، ايلول

الإيمان عند القاضي عبد الجبار والقاضي الباقلاني

ملخص الرسالة

الإيمان من المسائل المهمة في الدين الإسلامي، بل هو الركيزة الأساسية التي يقوم عليها الدين، والإيمان له معان كثيرة من الناحية اللغوية وكذلك الشرعية، والإيمان هو ما اطمأن له القلب، الإيمان من الناحية الشرعية والذي نحن في صدد، وللعلماء آراء وأقوال مختلفة في معنى الإيمان منهم من قال أن الإيمان هو اعتقاد بالقلب فقط، ومنهم من قال هو اعتقاد وقول باللسان، ومنهم من قال الإيمان هو اعتقاد بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح، وهذا الأخير هو الذي عليه القاضي عبد الجبار المعتزلي والقاضي الباقلاني الأشعري (رحمهم الله)، وعندهم العمل ضمن الإيمان، وإن سبب الخوض في هذه المسألة بين العلماء وخصوصاً أهل الكلام هو أن صاحب الكبيرة هل هو مؤمن أم كافر، وللقاضي عبد الجبار قول في هذا، حيث أن صاحب الكبيرة لا مؤمن ولا كافر وإنما هو منزلة بين المنزلتين، لا يمكن أن يقال له مؤمن لما فيه من المعاصي والذنوب من الكبائر، ولا يمكن أن يقال له كافر لما فيه من الأعمال الصالحة، وإذا تاب تاب الله عليه، وإذا مات قبل أن يتوب فإنه خالد في نار جهنم ولا تشمل شفاعة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، وأما القاضي الباقلاني رأيه يخالف هذا القول، حيث أنه لا يكفر صاحب الكبيرة وإنه مؤمن بما لديه من الأعمال الصالحة، وحتى إذا مات ولم يتب فإنه لا يكون

من الخالدين في النار وإنما إن شاء الله غفر له أو تشمله شفاعة الشافعين النبي أو الشهداء أو من له حق الشفاعة، أو يعذبه في جهنم ثم يخرج منه ويدخله الجنة برحمته تعالى.

وأما مسألة الكفر فللقاضي عبد الجبار قول فيها وهو ارتكاب الذنب أو المعصية والعلم بحكمها وكذلك بدون ضغوط عليه، ومن الأمور الأخرى المتعلقة بالكفر هي أن الإنسان إذا لم يثبت ما أثبتته الله تعالى لنفسه فهو كافر، وكذلك إذا نفى ما أثبتته الله تعالى لنفسه أيضاً يكون كافر، وكذلك للباقلاني قول في هذه المسألة أيضاً، الكفر عنده أقسام فمنه اعتقادي ومكانه القلب، كأن يكون عدم الاعتقاد بصفة من صفات الله تعالى، وقسم آخر هو كفر الأفعال، وكفر اقوال وهذا متعلق بالكلام والتعدي على الله تعالى وعلى النبي (صلى الله عليه وسلم).

وكذلك من الأمور المتعلقة بالإيمان هو المنزلة بين المنزلتين، تعني هذه التسمية هو أن صاحب الكبيرة من الذنوب والمعاصي لا يسمى كافراً ولا يسمى مؤمناً، القاضي عبد الجبار يقول في هذا لأنه أصل من الأصول الخمسة التي عليها المعتزلة، وأما القاضي الباقلاني لا يقول بهذا الأصل أي المنزلة بين المنزلتين، أي أن العبد إما مؤمن وإما كافر، ولذلك عنده صاحب الكبيرة مؤمن بما لديه من أعمال صالحة ولا يكفر.

وكذلك للقاضي عبد الجبار له قول في زيادة الإيمان ونقصانه، حيث يقول أن الأعمال من الإيمان فكلما زادت الأعمال زاد الإيمان وبالعكس كلما قلت الأعمال نقص الإيمان، وقد استدل بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾، الأنفال، آية 2، وإما القاضي الباقلاني لا يخالفه في هذه المسألة، أي في زيادة الإيمان ونقصانه، وهناك رأي يقول الإيمان لا يزيد ولا ينقص، وهذا القول لمن يقول أن الأعمال ليس من ضمن الإيمان.

وأما في مسألة الاستثناء فللقاضي الباقلاني قول فيها ، وهذه الكلمة أي الاستثناء تعني أن الانسان إذا سؤل هل انت مؤمن؟، لا يمكن له أن يثبت الإيمان لنفسه لكن يجب عليه أن يربطه بمشيئة الله تعالى، وله أن يقول أنا مؤمن إن شاء الله تعالى، وإن الاستثناء يكون في المستقبل، ولا يكون في الماضي والحاضر، استدلالاً بقوله تعالى: (ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً، إلا أن يشاء الله)، وإن الله تعالى له المشيئة في كل شيء.

وأما القاضي عبدالجبار لم اجد له قولاً في الاستثناء في الإيمان اثناء البحث في مؤلفاته.

الكلمات الافتتاحية: الكلام، القاضي عبدالجبار، القاضي الباقلاني، الإيمان، الكفر، الفسق، الكبائر.

عدد الصفحات: 107 + VI

المشرف: الدكتور متين يلدر

المحتويات

I.....	ملخص الرسالة
III.....	المحتويات
VI.....	الإختصارات
1.....	المقدمة:
3.....	التمهيد
6.....	1. تعريف الإيمان والكفر لغة واصطلاحاً
6.....	1.1. تعريف الإيمان لغة واصطلاحاً
12.....	2.1. تعريف الكفر لغة واصطلاحاً
14.....	2. الإيمان والكفر عند القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمداني
14.....	1.2. ولادة ونشأة ودراسة ومؤلفات القاضي عبد الجبار
18.....	2.2. الإيمان عند القاضي عبد الجبار
26.....	3.2. الكفر عند القاضي عبد الجبار
33.....	4.2. المنزلة بين المنزلتين عند القاضي عبد الجبار
41.....	5.2. زيادة الإيمان ونقصانه عند القاضي عبد الجبار
48.....	3. الإيمان والكفر عند القاضي الباقلاني
48.....	1.3. ولادة ونشأة ودراسة ومؤلفات القاضي الباقلاني
50.....	2.3. الإيمان عند القاضي الباقلاني
63.....	3.3. الكفر عند القاضي الباقلاني
78.....	4.3. زيادة الإيمان ونقصانه عند القاضي الباقلاني

5.3.	الاستثناء عند القاضي الباقلاني.....	83
6.3.	المنزلة بين المنزلتين عند القاضي الباقلاني.....	86
4.	المقارنة في مسألة الإيمان والكفر بين القاضي عبد الجبار والقاضي الباقلاني.....	87
1.4.	المقارنة في مسألة الإيمان بين القاضي عبد الجبار والقاضي الباقلاني.....	87
2.4.	المقارنة في مسألة الكفر بين القاضي عبد الجبار والقاضي الباقلاني.....	90
3.4.	المقارنة في زيادة الإيمان ونقصانه بين القاضي عبد الجبار والقاضي الباقلاني....	93
4.4.	المقارنة في المنزلة بين المنزلتين بين القاضي عبد الجبار والقاضي الباقلاني	94
97	الخاتمة.....	
99	المصادر والمراجع.....	

الإختصارات

بدون ت	بدون التاريخ
ت	المتوفى
تح	التحقيق
تر	الترجمة
ص	الصفحة
ط	الطبعة
م	الميلادي
هـ	الهجري

الرموز

﴿ ﴾	مخصص للآيات
« »	مخصص للأحاديث
" "	مخصص للتنصيص
()	مخصص للكلمات

المقدمة:

إن من أكثر الامور والمسائل وأبرزها التي تفرق بها المسلمون إلى فرق كثيرة، ودار النقاش فيها والجدل، هي مسألة الإيمان وما يتعلق بها من مسألة تكفير صاحب الكبيرة أم هو مؤمن، وهذا هو اساس الخلاف ومركزه، كل الفرق من الخوارج والمعتزلة والاشاعرة تكلمت في هذا الموضوع والفت الكتب والرسائل والبحوث في مسألة الإيمان.

إن من اسباب اختيار هذا الموضوع هو لبيان وتوضيح مسألة الإيمان وما يرتبط به من امور أخرى عند القاضي عبد الجبار المعتزلي والقاضي الباقلاني الاشعري رحمهم الله تعالى، مع ذكر أدلة من القرآن الكريم والحديث الشريف لكل طرف منهم، اللذان أفنا عمرهما في العلم الشرعي.

وكذلك سبب اختيار هذا الموضوع ايضاً لبيان وتوضيح عقيدة الإيمان وما يرتبط به من والكفر والتكفير بين المسلمين، وما يتعلق به من الخلود في النار، وهذه مشكلة عظيمة بين المسلمين وما لها من تأثير على ضروريات الدين، وما يجري اليوم في بلاد المسلمين من قتل واباحة لأرواح المسلمين إلا بسبب الفهم الخاطئ للإيمان والكفر، وكذلك من الاسباب الأخرى هو لقلّة الباحثين فيه.

وأما أهمية هذا الموضوع هو لبيان مسألة الإيمان والكفر والذي يضع الإنسان الذي يريد الوصول إلى حقيقة الإيمان والكفر في موضع الأمان من الوقوع في تكفير الناس، وكذلك يكون في أمان من الوقوع في الكفر بعد أن يعرف الاقوال والافعال الكفرية.

الشكر: الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف الانبياء والمرسلين وبعد أولاً
وابتداءً الشكر والفضل والمنه لله رب العالمين الذي بفضله وبنعمته يسر لي الدراسة في

الجمهورية التركية، ومن ثم بعد الله تعالى الفضل إلى استاذي ومشرفي الدكتور متين يلدر الذي له الدور الكبير في اتمام الدراسة وكذلك في اتمام هذا البحث، الذي وجهني الى الطريق الصحيح والصواب في كتابة البحث، اوجه له كل التقدير والامتنان.

والشكر والفضل إلى جامعة وان يوزونجويل، وما قدموا لنا من التسهيلات ومن المعاملة الطبية وخص بذلك كلية الإلهيات من عميد الكلية إلى الاساتذة الذين جعلونا لم نشعر بالغربة في هذا البلد الطيب، وخص منهم الدكتور برهان الدين، أسأل الله العظيم أن يحفظ هذا البلد ويحفظ أهله أجمعين.

التمهيد

إن العقيدة هي الأساس الذي يقوم عليه الدين، إذ أن بدون الاعتقاد الصحيح لا يحسب للإنسان إيمان، وقد برز في هذا المجال علماء دافعوا عن العقيدة الإسلامية، ودحضوا عنها كل الشبهات، ومن هؤلاء العلماء هم قاضي القضاة عبد الجبار والقاضي الباقلاني، وسنبين في هذا البحث ما هو الإيمان من خلال القاضي عبد الجبار المعتزلي وتعريفه ونظرته وفهمه للإيمان، وكذلك من خلال القاضي الباقلاني الأشعري ونظرته للإيمان، والذي يتناول الإيمان من الناحية الشرعية، وما يتعلق به من الذنوب والمعاصي من الكبائر، وكذلك الأعمال الصالحة وارتباطها بالإيمان.

موضوع البحث:

لقد قسمت هذا البحث الى أبواب وفصول، في الباب الأول عرفت الإيمان والكفر لغة واصطلاحاً، وقد قسمت الباب الثاني إلى خمس فصول، في الفصل الأول ذكرت ولادة ونشأة ودراسة ومؤلفات القاضي عبد الجبار، وفي الفصل الثاني بينت فيه معنى الإيمان عند القاضي عبد الجبار من الناحية الشرعية، وفي الفصل الثالث ذكرت مفهوم الكفر عند القاضي عبد الجبار، وفي الفصل الرابع بينت أصل من أصول المعتزلة وهو منزلة بين المنزلتين عند القاضي عبد الجبار، وفي الفصل الخامس ذكرت مسألة متعلقة بالإيمان وهي زيادة الإيمان ونقصانه، وقد قسمت الباب الثالث إلى ستة فصول، لقد ذكرت في الفصل الأول ولادة ونشأة ودراسة ومؤلفات القاضي الباقلاني، وفي الفصل الثاني بينت فيه الإيمان عند القاضي الباقلاني، وفي الفصل الثالث ذكرت الكفر عند القاضي الباقلاني، وفي الفصل الرابع بينت زيادة الإيمان ونقصانه، وفي الفصل الخامس ذكرت الاستثناء في الإيمان عند القاضي

الباقلاني، وفي الفصل السادس بينت فيه عدم وجود المنزلة بين المنزلتين عند القاضي الباقلاني وفي الباب الرابع قمت بالمقارنة بين اقوالهم وآرائهم في الفصول جميعاً.

الغرض من البحث:

إن الغرض من بحثي هو لبيان وتوضيح مفهوم ومعنى الإيمان، بالأدلة القرآنية والأحاديث النبوية، وبينت فيه آراء القاضيين، إن من أهم الأهداف هو إيصال المعلومة للناس للوصول إلى حقيقة الإيمان والوقوف عليها، ثم لإبراز شخصية القاضي عبد الجبار إلى الواقع الحاضر، وكذلك إبراز شخصية القاضي الباقلاني أيضاً.

منهج البحث:

أما منهجي المنهج الوصفي التحليلي، والمقارنات، هو دراسة الإيمان عند القاضي عبد الجبار، وكذلك دراسة الإيمان عند الباقلاني، والمقارنات بين رأي القاضي عبد الجبار في الإيمان وبين القاضي الباقلاني، وكذلك ذكر الآراء الأخرى من الفرق الأخرى، في البحث قمت أولاً بجمع المصادر، وبعد ذلك القراءة والكتابة، ثم قسمت بحثي إلى أربع مباحث، المبحث الأول تعريف الإيمان لغة واصطلاحاً، أما المبحث الثاني عن الإيمان والكفر والكبائر وزيادة الإيمان ونقصانه والمنزلة بين المنزلتين عند القاضي عبد الجبار، والمبحث الثالث الإيمان والكفر وزيادة الإيمان ونقصانه عند الباقلاني، المنزل بين المنزلتين، والمبحث الرابع المقارنة بين القاضي عبد الجبار والقاضي الباقلاني في مسألة الإيمان والكفر وزيادة الإيمان ونقصانه، وكذلك ذكر رأي الباقلاني في مسألة الاستثناء، وأخيراً الخاتمة والتي تتضمن أهم ما توصلنا إليه من نتائج.

الصعوبات:

واجهت صعوبات عديدة وكثيرة عند القراءة وعند الكتابة، فعند القراءة في المصادر عند القاضي عبدالجبار في مؤلفاته الكثيرة لم أجد عن الإيمان إلا في خمس من المؤلفات، وكذلك القاضي الباقلاني نفس الشيء، وأما عند الكتابة فقد وجدت من الصعوبة في الكتابة بسبب الوضع الأمني السيء في المنطقة التي أعيش فيها، ولكن حاولت جاهداً ابذل قصارى جهدي في بحثي، ونحمد الله تعالى على هذا.

المصادر والمراجع:

لقد اعتمدت على المؤلفات والمصادر الرئيسية للقاضي عبدالجبار وهي الأصول الخمسة، والمغني في أبواب التوحيد، ومختصر الأصول الخمسة، وتنزيه القرآن عن المطاعن، وشرح الأصول الخمسة، وكذلك على مؤلفات القاضي الباقلاني وهي تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، والإنصاف فيما يجب اعتقاده وما لا يجوز الجهل به.

1. تعريف الإيمان والكفر لغة واصطلاحاً

1.1. تعريف الإيمان لغة واصطلاحاً

الإيمان له تعريف في معاجم اللغة واصطلاح علماءها، ونذكر في هذا المطلب أبرز

التعريفات والمعاني للإيمان من الجانب اللغوي والاصطلاحي.

أولاً: تعريف الإيمان لغةً: - جاء تعريف الإيمان في كتب اللغة وهو ما يقصد به من الناحية اللغوية التي ليس لها علاقة بالجانب الشرعي، ولأهل العلم في هذا الجانب آراء مختلفة، ولكن نجد هناك البعض يتطرق إلى الجانب الشرعي أحياناً، جاء تعريف الإيمان لغةً بألفاظ مختلفة ولكن قريبة من بعضها.

إن الإيمان مصدر آمن يؤمن إيماناً فهو مؤمن، وأصل آمن آمن بهمزتين ولينت الثانية، ويطلق عليه الأمن و ضده الخوف، هناك تعريفات أخرى للإيمان لغةً عرفها اللغويين، ومن هذه التعريفات: منهم من عرفه لغةً الإقرار، ومنهم من عرفه وقال الطمأنينة ومنهم من قال إنه الثقة¹.

إن أصحاب أبي حنيفة لهم أدلة رحمهم الله تعالى على أن معناه في اللغة هو التصديق، ودليلهم هو قال الله تعالى خبراً عن قصة يوسف: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا﴾²، ومعنى هذه الآية أنه أنت غير مصدق بنا، وإن المعنى اللغوي هذا، والمقصود به التصديق بالقلب،

¹ حياة بن محمد بن جبريل، الآثار الواردة عن عمر بن عبد العزيز في العقيدة، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط: 1، 1423هـ، 2002م، 1/ 541.

² يوسف، 12/ 17.

يكون حقاً لله، وعلى العبد يكون واجباً، وأيضاً إن ما أتى به نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) يصدق به، إن الذي يصدق الرسول بما أتى به يعتبر مؤمن فيما بينه وبين الله تعالى³.

أما بالنسبة لأبن تيمية رحمه الله تعالى (ت: 728هـ) فكان تعريفه وفهمه للإيمان: الإيمان لغةً هو الإقرار، إن ابن تيمية كان هذا تعريفه وفهمه للإيمان، إن الإيمان لا يكون مرادفاً للتصديق إلا إذا كان معه انقياد القلب أو الإذعان له، لذلك إن الإنسان ممكن أن يكون مصدقاً ولا يكون مؤمناً، هذا حال أبو طالب عندما قال: إن الدين الذي جاء به محمد أعلم أنه من أفضل الأديان في البرية، كنت أتبع هذا الدين لولا الخوف من ملامة قريش؛ إذن هو يقر ويعترف ومصدق هذا هو دين الحق، لكنه خالي من الإذعان؛ لذلك لم يكن مؤمناً⁴.

إن ابن تيمية له تبرير وحجج في الاختلاف بين الإيمان والتصديق من أوجه مختلفة، الوجه الأول: مسألة التعدي هناك فرق بين الإيمان والتصديق، ويكون لفظاً هو الفرق، عندما يأتي أحد بخبر فنقول له صدقت، ونقول آمن به ولا نقول آمنه. ولذلك قوله تعالى: ﴿فَأَمَّنْ لَهُ لُوطٌ﴾⁵، إن الإيمان لا يتعدى بنفسه بخلاف التصديق فإنه يتعدى بنفسه، لا يمكن أن نقول آمنته، وهذا يعني الأمان وعكسه أو ضده الخوف. أما الوجه الثاني للخلاف: إن اللفظين وهما الإيمان والتصديق مختلفان في المعنى غير مترادفين. من الناحية اللغوية يقال للمخبر المشاهدة أو غيب كذبت أو يقال صدقت، لكن الإيمان فقط عند الخبر عن الغائب، والإيمان هنا مشتق

³ صدر الدين محمد بن علاء الدين، علي بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذري الصالحي الدمشقي، شرح العقيدة الطحاوية، تح: جماعة من العلماء، تخريج: ناصر الدين الألباني، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة (عن مطبوعة المكتب الإسلامي)، ط: 1، 1426هـ، 2005م، ص337.

⁴ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، تنكرة المؤتسي شرح عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي، غراس للنشر والتوزيع، ط: 1، 1424هـ، 2003م، ص297.

⁵ العنكبوت، 26/29.

من الأمن . أما الوجه الثالث للخلاف: إن اللفظين التكذيب والإيمان لا يتقابلان من الناحية اللغوية؛ لأن التكذيب يقابله التصديق، وإن لفظة الكفر يقابله لفظة الإيمان، ولذلك نقول فلان كافر أو مؤمن، والتكذيب لا يختص به الكفر، بل لو قال أنا أعاديك ولا أتبعك أكرهك، أنا أعلم وأعترف بصدقك. عندما كان الإيمان يقابل الكفر عرفنا إن الإيمان ليس هو التصديق فقط. أما الوجه الرابع للخلاف: إن من الناحية اللغوية اشتقاق الإيمان من الأمن، وكما معلوم إن الأمن ضد الخوف؛ إذن الإيمان مع التصديق يتضمن الإتمان والأمانة، أما بالنسبة للتصديق فلا يشمل شيء من ذلك.⁶

إن الإيمان تارة يتعدى بنفسه، وتارة أخرى باللام و مرة أخرى يتعدى بالباء، عندما يكون متعدياً بنفسه إنه يأتي بمعنى: التأمين، أي مأخوذ من الأمان، فنقول : آمنته عكس خوفته، قال الله تعالى : ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَأَمَّنَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾.⁷ إن من أسماء الله الحسنى ﴿المؤمن﴾، والإيمان لغة مشتق من هذا الاسم، وهذا اللفظ أو الاسم يشمل على الكمال ومن ضمن معانيها صفة الأمن، أي أن الله سبحانه وتعالى من أسمائه ﴿المؤمن﴾؛ لأنه يؤمن العباد من الفزع والخوف يوم الحساب، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ مِنْ فَرَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾.⁸

وقلنا يتعدى بالباء، فنقول: أمنت بالله أو أمنت برسول الله، قال عز وجل: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ

⁶ ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم الحراني، مجموع الفتاوى، تح: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، 1416هـ، 1995م، 262/7.

⁷ قريش، 106/3-4.

⁸ النمل، 27/89.

وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ»⁹، وهناك مثال آخر من السنة النبوية المطهرة، وذلك عندما جاء رجل إلى الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) يطلب النصيحة: «عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الثَّقَفِيِّ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا غَيْرَكَ، قَالَ: «قُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ ثُمَّ اسْتَقِمَّ»¹⁰ وهذا هو التعدي الإيمان بالباء، فأصبح التصديق معناه، قال الله عز وجل: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ﴾¹¹، معناه صدقنا بوجود الله، وكذلك الإيمان يتعدى باللام، إن هذه المسألة مهمة، قال الله سبحانه و تعالى: ﴿فَأَمَرَ لَهُ لُوطٌ﴾¹²، عندما يأتي الإيمان متعدي باللام يكون معناه الانقياد والاتباع، وكذلك عندما نقول أمنت لرسول الله (صلى الله عليه و سلم) بمعنى كل العبادات التي أتبعها أتبع الرسول؛ إذن معناها الاتباع¹³.

ثانياً: تعريف الإيمان اصطلاحاً:- هو ما نعني به من الناحية الشرعية لا اللغوية، والمقصود بالشرعية، الشريعة الإسلامية القرآن والسنة النبوية الصحيحة عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ولأهل العلم والاختصاص أقوال مختلفة في معنى الإيمان من الجانب الشرعي، وهذا ما نراه في التعريفات المختلة للإيمان الاصطلاحي.

⁹ البقرة، 2/ 136.

¹⁰ ابن أبو شيبة، أبو بكر بن، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي، مسند ابن أبي شيبة، تح: عادل بن يوسف العزازي وأحمد بن فريد المزيدي، دار الوطن، الرياض، ط: 1، 1997م، رقم الحديث 679، 2/ 194.

¹¹ البقرة، 2/ 136.

¹² العنكبوت، 29/ 26.

¹³ اللالكائي، أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، تح: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، دار طيبة، السعودية، ط: 8، 1423هـ، 2003م، 39/ 5.

تعريف الإيمان الاصطلاحاً إن ما جاء به الأثر عن عمر بن عبدالعزيز (ت: 101هـ)

رحمه الله تعالى، الإيمان هو اعتقاد القلب والنطق باللسان وعمل الجوارح ينقص ويزيد، وهذه

المعاني التي أشار إليها نصوص القرآن والسنة.¹⁴

أما بالنسبة لقول عمر بن عبدالعزيز فهو والمأثور عنه حسب السند الصحيح الذي كتبه

فقال فيه: الإيمان شرائع، وفرائض، وحدود، وسنن، إن الذي أقام هذه الجوانب التي عددناها

كاملة كان إيمانه كامل، وإن الذي لا يؤديها كاملة فإن إيمانه غير كامل، إن من هذا التعريف

للإيمان بين رحمه الله تعالى الإيمان فرائض يعني بها الصلاة والحج كل الفرائض، وقال سنننا

ويعني بها المندوبات كإمطة الأذى عن الطريق، إن جميع هذه المسائل التي ذكرناها هي من

الإيمان، وإن هذا التعريف عن عمر بن عبدالعزيز ما جاء به إلا عن وجوده بالقرآن الكريم

وسنة محمد (صلى الله عليه وسلم)، فالإيمان إذن هو التصديق بالجنان وقول باللسان وعمل

بالأركان.¹⁵

وكذلك الإيمان اصطلاحاً هو التصديق بما جاء به الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم)

من ربه، لحد هذا الكلام لا خلاف عليه، لكن وقع الخلاف هل يجب إظهار هذا التصديق الذي

في القلب على اللسان، وكذلك القيام بأداء المأمورات وترك المحظورات، يعني العمل بما صدق

¹⁴ حياة بن محمد بن جبريل، الآثار الواردة عن عمر بن عبد العزيز في العقيدة، 541/1.

¹⁵ حياة بن محمد بن جبريل، الآثار الواردة عن عمر بن عبد العزيز في العقيدة، ص 541.

به، اشتهروا بهذا التعريف كثير من أهل العلم، ولذلك قالوا: "الإيمان اعتقاد أو قصد وقول وعمل، يزيد بالعمل الصالح وينقص بارتكاب الذنوب وترك الواجبات".¹⁶

الإيمان عند إطلاقه في الشريعة له حالتان: الحالة الأولى: عندما يأتي الإيمان ويعني معنى الإيمان غير مرتبط بالإسلام، وفي هذه الحالة يقصد به جميع الدين¹⁷، وذلك بقوله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.¹⁸

ومن التعاريف للإيمان اصطلاحاً: هو التصديق بالقلب الجازم بما علم ضرورة ما جاء به الرسول محمد (صلى الله عليه و سلم) من عند الله تفضيلاً وما علم تفضيلاً من أركان الإسلام الخمسة والتوحيد والبعث والنبوة والجزاء¹⁹.

وكذلك عرف الإيمان اصطلاحاً: هو أركان الإيمان والاعتقاد بها، وذلك استدلالاً بحديث جبريل عليه السلام مع الرسول (صلى الله عليه و سلم) لما سألته عن الإسلام والإيمان والإحسان²⁰.

¹⁶ شمس الدين، أبو العون، حمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، *لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرّة المضية في عقد الفرقة المرضية*، مؤسسة الخافقين ومكتبتها، دمشق، ط: 2، 1402هـ، 1982م، 403/1.

¹⁷ الحكمي، حافظ بن أحمد بن علي، *معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول*، تح: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم، الدمام، ط: 1، 1410هـ، 1990م، 537/1.

¹⁸ البقرة، 257.

¹⁹ الكرمي، مرعي بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد المقدسي الحنبلي، *الكلمات النبّيات*، تح: عبد الحكيم الأنيس، المكتب الإسلامي لإحياء التراث، ط: 1، 1425هـ، 2004م، ص54.

2.1. تعريف الكفر لغة واصطلاحاً

الكفر له معنى واضح في كتب اللغة، والمصطلحات الفقهية المتداولة بين الفقهاء، والتي دلت عليه أغلب هذه الكتب.

أولاً: الكفر لغةً: - هو الستر والغطاء وعدم الوضوح، فقد جاء التعريف اللغوي للكفر في كتب اللغة: - هو ضد الإيمان، وكما عرفه صاحب كتاب مختار الصحاح: كفر بالله وهو من باب نصر، وجمع كافر، كفار، وكفرة، وهو الجحود بالنعمة، ويكون ضدّاً للشكر، وسمي الليل المظلم كافراً لأن سواده يغطي ضوء النهار، وسمي الفلاح كافراً لأنه يغطي البذور في التراب²¹. وجاء في أساس البلاغة أن معنى كفر الشيء، غطاه، ويقال السحاب كفر السماء، والمتاع كفر الوعاء، والليل كفر بظلامه، والليل كافر، والفلاح كفر الحب، أي غطاه بالتراب²². والكفر في كتاب التعريفات للجرجاني أنه الجحود بنعمة المنعم وسترها²³.

ثانياً: الكفر اصطلاحاً: - في كتاب أنيس الفقهاء كفر يكفر، والكفر ضد الإيمان، وهو ستر الحق بالباطل، والكفران بالنعمة، أي سترها، ويقال يكفر الله السيئات من عباده²⁴. وفي

²⁰ الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1415هـ، 1995م، 93/3.

²¹ الرازي، زين الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، تح: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، ط: 5، 1420هـ، 1999م، ص271.

²² الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد جارالله، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1419هـ، 1998م، 140/2.

²³ الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف، التعريفات، تح: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: 1، 1403هـ، 1983م، ص185.

²⁴ الحنفي، قاسم بن عبدالله بن أمير علي القنوي، أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء، تح: يحيى حسن مراد، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ، 2004م، ص62.

كتاب التوقيف على مهمات التعاريف جاء معنى الكفر: وهو تغطية ما حقه أن يظهر، وجحود الوجدانية هو من أعظم الكفر، وكذلك جحود النبوة²⁵.

وجاء في الكليات: أن الكفر هو عدم الإيمان بما جاء به نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) من أمور الدين، وكذلك إنكار ما هو معلوم من الدين بالضرورة²⁶. وفي معجم اللغة المعاصرة: الكفر من باب كفر يكفر، أي أشرك بالله ولم يؤمن بوجدانية الله أو نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) أو الشريعة جميعاً²⁷.

الكفر ضد الإيمان، وهو جهل بالله تعالى، وهو المغطي للقلب من معرفة الحق، ويأتي الكفر بمعنى: التكذيب والجحود والإنكار، وعبادة غير الله تعالى²⁸.

ويكون الكفر بأمر أربعة، اعتقاد بالقلب، أو بالفعل، أو القول، أو بالشك²⁹. وهناك ألفاظ لها صلة من حيث المعنى في مفهوم الكفر، ومن هذه الألفاظ، الشرك والإلحاد والردة.

²⁵ المناوي، زين الدين محمد بن علي الحدادي، التوقيف على مهمات التعاريف، عالم الكتب، القاهرة، ط: 1، 1410هـ، 1990م، ص282.

²⁶ الكفوي، أبو البقاء الحنفي، الكليات، تح: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، دون: ط. ص764.

²⁷ أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، ط: 1، 1429هـ، 2008م، 3/1943.

²⁸ الباقلاني، محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل، تح: عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، لبنان، ط: 1، 1407هـ، 1987م، ص394.

²⁹ عبدالله بن عبد الحميد الأثري، الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة، مدار الوطن، الرياض، ط: 1، 1424هـ، 2003م، ص243.

2. الإيمان والكفر عند القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمداني

1.2. ولادة ونشأة ودراسة ومؤلفات القاضي عبد الجبار

هو قاضي القضاة أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد الهمداني، وكانت المعتزلة تطلق عليه لقب قاضي القضاة، وهذا اللقب لا يطلق على غيره من علماء المعتزلة، وقد درس على يد علماء أجلاء من بينهم أبي أسحق بن عياش، وبعدها رحل الى بغداد، وبعلمه وذكائه تفوق على أقرانه من أهل العلم، وكان يقول فيه صاحب وهو الوالي هو "أعلم أهل الأرض" وكذلك يقول هو "أفضل أهل الأرض"³⁰، وله الفضل في وصول وبقاء الفكر الاعتزالي إلى حد الآن، بسبب مؤلفاته وتراثه، كانت ولادته في ولاية (أسد أباد)، في القرن الثالث، وفي مدينة أسد أباد ومدينة قزوین بدأ دراسته يتلقاها فيهما، وفي جوانب عديدة من العلوم مثل في الحديث والأصول والفقه والكلام، على يد أعلم الفقهاء والعلماء في هاتين المدينتين، وكان العلماء في هاتين المدينتين يدينون بالمذهب الأشعري، وهذا مما جعل القاضي يدين بالمذهب الأشعري في بدايته، ومن العلماء الذين درس على أيديهم: الحافظ الزبير بن عبد الواحد (147هـ)، وأبو الحسن بن سلمة القطان (345هـ)، لا توجد معلومات دقيقة تدون حياته وولادته ومراحل الأولى، وإن المعلومات التاريخية مفادها أنه عاش أكثر من تسعين سنة، وإن تأريخ وفاته عام (415هـ)، الاستنتاج من تأريخ وفاته وعمره الذي تجاوز التسعين أن ولادته تكون تقريباً سنة (325هـ)، وهذا التأريخ غير موثوق به، لأنه درس على يد الشيخ (محمد بن أحمد بن عمر الزنبقي) البصري الذي توفاه الأجل سنة (333هـ)، يستنتج من تأريخ ولادته سنة (325هـ) وتأريخ وفاته الشيخ سنة

³⁰ القاضي عبد الجبار، عبد الجبار بن أحمد بن خليل بن عبد الله الهمداني، تنزيه القرآن عن المطاعن، دار النهضة الحديثة، بيروت، ص5.

(333هـ) إنه صغير السن، وظهر تقدير لولادته هو سنة (320هـ) على الأقل، ولد في أسرة

فقيرة كادحة، وأبيه يعمل حلاج ويبيع النسيج في أسواق همدان.³¹

ترعرع القاضي عبد الجبار فقيراً، في يوم من الأيام أصيب القاضي عبد الجبار بمرض الجرب فأشترى دهن لكي يدهن مواضع المرض، وعندما جاء الليل بدأ يفكر هل يعالج المرض بهذا الدهن أم يشعل السراج به ليستطيع قراءة الكتب عليه، إلا إن حبه لطلب العلم دفعه إلى إشعال السراج به وترك مرضه الذي يعاني منه وهو الجرب، في سنة (340هـ) تحول عبد الجبار إلى مدينة همدان من مدينة أسد آباد، ودرس العلم الشرعي على يد محدثيها وفقهائها، وبعدها انتقل إلى مدينة أصفهان وأيضاً درس العلم فيها على يد علمائها، وفي سنة (346هـ) انتقل إلى مدينة البصرة، وفي هذه المدينة تحول القاضي عبد الجبار من مذهبه وهو الاشعري إلى مذهب أهل البصرة وهو الاعتزال، وكانت البصرة مركز الاعتزال في وقتها، وذلك بعدما تأثر بأفكار الشيخ (أبو اسحاق ابراهيم بن عياش) وهذا هو شيخ المعتزلة في البصرة، ومن ثم بعدها غادر إلى مدينة بغداد، وأكمل دراسته على يد الشيخ (أبو عبدالله بن الحسين بن علي البصري)، حتى أصبح بعدها من علماء الاعتزال، وفي سنة (369هـ) انتقل القاضي عبد الجبار من مدينة بغداد إلى مدينة الرامهرمز، وهي من المراكز المهمة للاعتزال، وفي هذه المدينة بدأ يلقي على طلبته الدروس في مسجد المدينة، فكتب كتابه المشهور (المغني)، الذي جمع فيه فكر وأصول المعتزلة، الذي حفظ من الضياع فحفظ أصول المعتزلة.³²

³¹ الراوي، عبدالستار الراوي، العقل والحرية دراسة في فكر القاضي عبد الجبار، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط:1، 1980م، 1400هـ، 36/1.

³² القاضي عبد الجبار، رسائل العدل والتوحيد، تح: محمد عمارة، ط: 2، دار الشروق، القاهرة، 1408هـ، 1988م، 25/1، 26.

بقي القاضي عبد الجبار في هذه المدينة أي مدينة رامهرمز، ثم تحول إلى مدينة الراي بعد طلب من والي، وكانت هذه المدينة هي عاصمة الدولة البويهية، عينه والي مسؤول قضاة الدولة وذلك في سنة (367هـ)، استمر القاضي عبد الجبار في تأليف الكتب والأملأ في هذه المدينة وكان يسافر للحج وللقضاء وللتعلم وللتعليم، ثم يعود بعد ذلك إلى مدينة الراي، توفي القاضي عبد الجبار سنة (415هـ)³³، لقب بالهمداني نسبة إلى مدينة همدان التي ولد فيها وهي من المدن المشهورة في بلاد فارس، وكذلك لقب بالأسد آبادي نسبة إلى مدينة أسد آباد عاش فيها، ومن أشهر الألقاب هو قاضي القضاة عندما كان في مدينة الراي والمناطق التابعة لها، ولا يوجد من المعتزلة من نال هذا القب إلا القاضي عبد الجبار. مما يتبين أن القاضي عبد الجبار لم يدم طويلاً في محل ولادته (أسد آباد) ومدينة (قزوين) قضى فيهما طفولته وصباه، وبعدها انتقل إلى مدينة همدان ليتعلم الحديث على يد علمائها مثل (أبي محمد عبد الرحمن الجلاب)، و (أبي بكر محمد بن زكريا)، وبعد دراسته علم الفقه واصلوه انتقل إلى مدينة اصفهان فدرس على يد علمائها مثل (أبي محمد بن عبد الله بن جعفر)، ثم انتقل بعد أن أخذ العلم على يد هؤلاء العلماء إلى عاصمة العلم والفكر وهي مدينة البصرة، وكان بين دروس مفكرها وعلمائها في تلك الفترة التي كانت الأشعرية لها السيادة، وتفرض افكارها الاعتقادية والفكرية، وفي تلك الفترة كان الاعتزال يواجه الحصار والمعارضة الشديدة من قبل الدولة العباسية، في وقتها كان القاضي عبد الجبار اشعري المذهب في الأصول أي العقيدة، وكان يعتنق المذهب الشافعي في الفروع.³⁴

³³ القاضي عبد الجبار، رسائل العدل والتوحيد، تح: محمد عمارة، ط: 2، دار الشروق، القاهرة، 1408هـ، 1988م، 25/1.

³⁴ الراوي، العقل والحرية دراسة في فكر القاضي عبد الجبار، 38/1.

وللقاضي عبد الجبار الفضل الكبير على التراث الفكري والنهضة العلمية وعلى علم الكلام من خلال ما تركه من مؤلفات كثيرة في أغلب الجوانب الدينية، في الأصول أي العقيدة، وفي الفروع أي الجوانب الفقهية وفي التفسير وفي الحديث وكل ما يشمل الدين، وتميز القاضي عبد الجبار في مؤلفاته في الدفاع عن المنهج الكلامي في الأصول الخمسة التي كان يعتقد أنها ويدافع عنها بشدة بين الفرق الأخرى، مما دفعه إلى تأليف مؤلفات كثيرة في شتى المجالات، ومن هذه المؤلفات المغني في أبواب التوحيد، وشرح الأصول الخمسة، ومختصر الأصول الخمسة، وتنزيه القرآن من المطاعن، والأصول الخمسة، ومتشابه القرآن، تحول القاضي عبد الجبار من الأشعرية إلى الاعتزال: كان القاضي عبد الجبار قد درس في بدايته وفي مسقط رأسه الفقه والحديث والكلام على يد رجال الدين في تلك المناطق، وكانوا يدينون بالأشعرية؛ إذن استوعب وتفقّه وتعلم الأشعرية، وبعدها عندما انتقل إلى المدن الأخرى كان يحضر جميع الدروس والمناظرات الجدلية بين هذه الفرق ومن ضمنها المعتزلة، وبعد هذه الحلقات والجدالات التي من خلالها يلتقي بعلماء ورجال الدين الذين يمثلون المعتزلة، بدأ يجلس في مجالس المعتزلة وبدأ يستوعب ويتفهم أفكارهم، فجلس مع أهل الدين وحاورهم وجادلهم حتى أصبح منهم، وبدأ يدافع ويحاور وينظر عن المعتزلة، وفي هذا الوقت كانت بغداد عاصمة الاعتزال.

35

³⁵ الراوي، العقل والحرية دراسة في فكر القاضي عبد الجبار، 1/39-40.

2.2. الإيمان عند القاضي عبد الجبار

من المسائل المهمة الأولى التي خاضت فيها المعتزلة وأولوا لها الاهتمام الكبير هي مسألة الإيمان، وهذه المسألة من الأمور المهمة التي دار حولها الصراع بين المسلمين، وخصوصاً الجماعات والفرق التي ناقشت وتصدت لهذه المسألة.

أما بالنسبة لفرقة المعتزلة التي ناقشت هذه المسألة في جوانب مختلفة، في الجانب الديني أي الشرعي، والجانب الأخلاقي، إن الإيمان لا يمكن أن يكون في الصلاة فقط، وإنما الإيمان في اجتناب الكبائر، وإن هذا الاجتناب صفة طيبة، وإن الإنسان يسمى مؤمناً إذا كان فيه هذه الصفات الخيرية والطيبة³⁶.

إن هذا يعني الإيمان له شروط وضوابط، هذه الشروط هي القيام بالطاعات والواجبات والسنن وترك المقبحات إذن المؤمن هو من يقوم بالواجبات والابتعاد عن المحرمات، إذا لم توجد هذه الشروط فإن الإنسان لا يسمى مؤمناً، وإن هذه الشروط متوفرة في عناصر ثلاثة: أولاً: العلم، ثانياً: القول، ثالثاً: العمل³⁷.

إن الطريق إلى المعرفة هو الاعتقاد بالقلب، والعنصر الثاني هو القول باللسان، أما الثالث الأعمال بالجوارح، إن القاضي عبد الجبار أعطى هذه العناصر الثلاثة أهمية كبيرة وأكد على ترابطها وتلازمها، وقال أيضاً إن العمل هو الذي يؤكد العنصرين الآخرين، أي أن لا جدوى من الاعتقاد بالقلب والنطق باللسان، إذا لم يطبق ذلك الاعتقاد والنطق باللسان على

³⁶ الراوي، العقل والحرية دراسة في فكر القاضي عبد الجبار، 375/1-377.

³⁷ الراوي، العقل والحرية دراسة في فكر القاضي عبد الجبار، 375/1.

أرض الواقع أي القيام بالعمل الذي هو معياراً أخلاقياً، وإن القاضي عبد الجبار يقرر ويقول: الإيمان هو العمل ويقول: "إن المؤمن لا يسمى مؤمناً إلا إذا عمل في الإيمان واشتغاله به"، وبهذا المعنى فإن القاضي عبد الجبار كان رأيه مخالف للآراء الأخرى، مثل النجارية الجهمية، إن هاتين الفرقتين كان الإيمان عندهم هو المعرفة بالقلب³⁸.

إن الأعمال عند القاضي عبد الجبار متعلقة بالإيمان، وإن مسألة الأعمال إما تكون حسنة وصالحة فتكون مستحقة للمدح، وإما تكون أعمال قبيحة فتكون مستحقة للذم، ولهذه المسألة شروط حيث أن الذم يستحق العقاب من الله تعالى، وكذلك من الذم ما لا يستحق العقاب، إن الذي يستحق العقاب فهذا مرتبط بأمرين، الأول بالفعل وهو أن يكون هذا الفعل قبيحاً، وأما الثاني مرتبط بالفاعل هو أن يكون الفاعل له علم بأن هذا العمل قبيح، وإن لم يعلم فإن له القدرة والاستطاعة على العلم بقبح ذلك العمل، ولذلك أن الطفل لا يذم وإن عمل عملاً غير صالح ومخالف للشريعة الإسلامية؛ لأنه ليس له علم ولا قدرة على العلم بذلك، أما الخارجي الذي يقتل الناس والمسلمين والذي يعتبر هذا العمل صالح يذم؛ لأنه له القدرة على العلم بقبح هذا الفعل³⁹.

إن المدح أيضاً على نوعين الأول يثاب على ما عمل، وله شروط وهي متعلقة بالفاعل والفعل، أما المتعلقة بالفعل هو أن يكون العمل فيه منفعة وزيادة على الحسن، وأما المتعلقة بالفاعل هو أن يكون الشخص له علم بهذا العمل زيادةً على الحسن، وهذين الشرطين الفعل

³⁸ الراوي، العقل والحرية دراسة في فكر القاضي عبد الجبار، 375/1.

³⁹ القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، تح: عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، القاهرة، ط: 3، 1416هـ، 1996م، ص612.

والفاعل مرتبطين معاً، ولهذا السبب صفة المدح لا توصف بها الصبيان لأنهم لم يعلموا هذه الصفة الزائدة، وأما المدح الذي لا يتبعه ثواب من جهة الله عز وجل، وله شروط أيضاً، وهي متعلقة بالفعل والفاعل، أما المتعلقة بالفعل يجب أن يكون إحساناً، والمتعلق بالفاعل يجب أن يكون قاصد لهذا الإحسان⁴⁰.

إن القاضي عبد الجبار وضع أسس تبين معنى الإيمان، وهذه الأسس لا تتطابق مع وجهة نظر الجهمية والنجارية، ويتبين عندهم أن الإنسان اذا عرف الله وتعدى حدوده ولم يطبق فرائضه ولا سننه سمي مؤمناً، وهذا الرأي لا يمكن أن يكون، وأما فرقة الكرامية فتقول أن الإيمان هو القول باللسان ومن غير عمل، وهذا الأمر جعل القاضي عبد الجبار يوجب عليهم أن الذي يخفي الكفر ويظهر الإسلام وهو منافق أنه مسلم، إلا أن القاضي عبد الجبار ضد هذا القول، وذلك لعدة أسباب، فإنه غير صحيح من الجانب اللغوي، لأن التصديق باللسان عندما تقول صدقت لا في القلب، أما اصطلاحاً أو شرعاً فإنه يفترض يعني الذي لا يعترف بالله ولا عمل لديه يفترض أن يكون مؤمناً، وذلك لتصديقه بالقلب، وإن رأي القاضي عبد الجبار ضد هذه الآراء المختلفة لجميع الفرق، إن اعتقاد القاضي بالإيمان هو أنه لا يمكن أن يكون اعتقاد بالقلب والنطق باللسان فقط، وإنما يجب أن يكون الأساس في الإيمان هو العمل لأنه الجانب التطبيقي والعمل للقلب واللسان إلى جانب القلب واللسان، وذلك القيام بالواجبات والطاعات بكل فروعها والابتعاد عن المحرمات والمنهيات بكل جوانبها⁴¹.

⁴⁰ القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، ص 613.

⁴¹ الراوي، العقل والحرية دراسة في فكر القاضي عبد الجبار، 1/377.

وإن القاضي عبد الجبار أيضاً يستنتج من أدلة قرآنية على أن إظهار الإيمان ليس بإيمان، وهذا حال المنافقين الذين كانوا يظهرون الإيمان وأن الله تعالى حذر النبي (صلى الله عليه وسلم) منهم، وإن العمل بالجوارح مع الاعتقاد بالقلب مع قول اللسان⁴²

وهناك فرق أخرى لها أراء في هذه المسألة، ومن هذه الفرق هم الماتوريديون الذين رأيهم في مرتكب المعصية الكبيرة دون الكفر ليس بكافر ولا منافق ولا يخرج من دائرة الإيمان، وإذا مات قبل أن يتوب فأمره إلى الله، أما يعفو الله عنه بشفاعه أحد أو بفضل من الله تعالى عليه وكرمه، أو يدخله النار بقدر معلوم حسب معصيته ثم يرجعه إلى الجنة، وعند الصابوني الإيمان هو الإقرار والتصديق وعكسه التكذيب والإنكار⁴³.

ومما يتبين آراء مختلفة في هذه المسألة بين الخلود في النار لصاحب الكبيرة إذا لم يتوب، وبين عدم الخلود في النار ولكن يعاقب حسب معصيته ثم يخرج من النار إلى الجنة ولكن لا يكون في الدرجات العلى من الجنة.

الإيمان هو الاعتقاد في القلب والنطق به في اللسان والقيام بالأعمال الصالحة واجتناب المعاصي والابتعاد عن المحرمات والمنهيات، إن صاحب الكبيرة ليس بكافر ولا مؤمن وإنما هو عاصي لأوامر الله، إن مات على توبة فهذا على خير، وإن لم يمت على توبة فأمره إلى الله تعالى، إن شاء عذبه وإن شاء أدخله النار ولكن بدون خلود فيها.

⁴² القاضي عبد الجبار، تنزيه القرآن عن المطاعن، ص 14، 15.

⁴³ الصابوني، نور الدين، البداية من الكفاية في الهداية في اصول الدين، تح: فتح الله خلف، دار المعارف، مصر، 1969م، ص 141.

وإننا نرى أن معنى ومفهوم الإيمان هو اعتقاد وقول وعمل، وترك المحرمات وإيتاء السنن والنوافل إلى جانب الفرائض هو من الإيمان، ولا يمكن أن يكون العبد مؤمناً بدون عمل وبدون ترك الذنوب والمعاصي، وإذا كان الإيمان هو الاعتقاد فقط فلا جدوى للأعمال الصالحة، إذا كانت الأعمال الصالحة وترك الذنوب والمعاصي ليس من الإيمان فما الفائدة من هذه الأعمال وما الفائدة من ترك المعاصي، وكذلك لا يمكن أن يكون العبد مؤمناً فقط باعتقاده، وكذلك لا يكون مؤمن بقوله فقط، ولا بد أن تجتمع هذه الأركان الثلاثة بالإضافة إلى ترك الذنوب والمعاصي، وعلى هذا أدلة كثيرة من القرآن الكريم ومن السنة النبوية المطهرة، وهذا ما نراه هو الأصح بين الأقوال الأخرى.

وكذلك للأئمة الأربعة لهم قول في هذه المسألة أي الإيمان، فهذا أبو حنيفة رحمه الله تعالى يقول في الإيمان هو الإقرار والتصديق، وكذلك له قول آخر لكنه لا يختلف عنه في المعنى، قال الإيمان هو "إقرار باللسان وتصديق بالجنان"، وكذلك أبي حنيفة عنده الإقرار وحده لا يكون إيماناً⁴⁴.

لم يدخل أبو حنيفة رحمه تعالى الأعمال ضمن الإيمان وهو بهذا يخالف بقية الأئمة في هذه المسألة، ونحن نرى خلاف قول أبي حنيفة أي أن الأعمال ضمن الإيمان.

وهذا الإمام مالك بن أنس رحمه الله تعالى له قول مخالف لقول أبي حنيفة رحمه الله تعالى في مسألة الإيمان، حيث يقول الإيمان قول وعمل، وكان يحتج لقوله هذا في الإيمان، يقول وذلك عندما فرضت على المسلمين الصلاة في وقتها كانت باتجاه البيت المقدس وكانت

⁴⁴ الخميس، محمد بن عبدالرحمن الخميس، اعتقاد الأئمة الأربعة، دار العاصمة، الرياض، ط: 1، 1412هـ 1992م، ص19.

لمدة ستة عشر شهراً، بعد هذه الأشهر نزل وحي من السماء يأمر الرسول (صلى الله عليه وسلم) بالاتجاه إلى بيت الله الحرام، وفي هذا قال الله تعالى ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾⁴⁵، والإيمان في هذه الآية هو الصلاة، حيث تعني هذه الآية أن الصلاة التي صليتموها إلى اتجاه بيت المقدس لم تذهب هباءً، وكان يحتاج المرجئة بهذه الآية الكريمة، حيث كانوا يقولون أن الصلاة لا تدخل في الإيمان⁴⁶.

إن قول المرجئة في هذه المسألة، أي أن الأعمال لا تدخل ضمن الإيمان، وما قالوا عن الصلاة لا تدخل في الإيمان، نرى ونعتقد قد اخطئوا في قولهم هذا؛ لأن الصلاة تقع ضمن الأعمال والأعمال ضمن الإيمان

وإن الشافعي أيضاً له رأي في هذه المسألة حيث يقول عن الإيمان "الإيمان قول وعمل واعتقاد بالقلب"، وكذلك يحتج بنفس الآية التي يحتج بها الباقيين من الأئمة التي ذكرناها سابقاً، وهي قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾⁴⁷، فيقول في هذا أن الصلاة هي إيمان، والإيمان هو "قول وعمل وعقد"، والإيمان عند الشافعي هو الإيمان بالله سبحانه وتعالى أعلى درجات الإيمان، وأي عمل لا يقبل إلا به، والقول عنده من ضمن الإيمان أي بعض الإيمان؛ لأن الإيمان قول وعمل⁴⁸.

⁴⁵ البقرة، 2 / 143.

⁴⁶ الخميس، اعتقاد الأئمة الأربعة، ص 33.

⁴⁷ البقرة، 2 / 143.

⁴⁸ الخميس، اعتقاد الأئمة الأربعة، ص 51.

وهذا الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى له قول في الإيمان، عنده الأعمال من الإيمان، عندما ذكر الصلاة والحج والزكاة والبر قال كلها من الإيمان، والإيمان عنده قول وعمل⁴⁹.

الأئمة الثلاثة الإمام مالك والإمام أحمد والإمام الشافعي رحمهم الله تعالى أجمعين لم يختلفوا في مفهوم الإيمان من الناحية الشرعية، فكلهم يعتقدون أن الإيمان اعتقاد وقول وعمل، وإن الأعمال تقع ضمن الإيمان، وهذا ما نراه حقاً ويوافق الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة النبوية المطهرة.

وكذلك الخوارج فإنهم لا يختلفون مع رأي المعتزلة في مسألة أن الإيمان يتكون من مجموعة أركان، وهذه الأركان هي التصديق بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالجوارح، وعندهم الإيمان هو كل عمل صالح من الفرائض والسنن، وكذلك عندهم من الإيمان هو الابتعاد عن الكبائر من الذنوب والمعاصي⁵⁰، وعندهم الإيمان جزء واحد لا يتجزأ، فإذا ترك شيء أو قصر في جزء منه لا يعتبر الباقي إيمان أي يذهب إيمانه، أي إنه إذا ارتكب ذنب من الذنوب فإن الأعمال الصالحة التي قام بها تذهب هباءً منثوراً، ومن ضمن عقيدتهم أنه العبد إذا ترك شيء من الدين فإنه لا يسمى مؤمن ولكن يسمى كافراً، وإنه خالداً في نار جهنم، ويطبق عليه أحكام الكفار، وبذلك يكون دمه وماله وعرضه حلالاً استباحته، وبما أنه الإيمان عندهم يتكون من أقوال وأفعال، يوجب زوال الإيمان إذا زال أو ترك بعض الأقوال أو الأفعال، وعلى هذا

⁴⁹ الخميس، اعتقاد الأئمة الأربعة، ص 68.

⁵⁰ الغامدي، أحمد بن عطية بن علي الغامدي، الإيمان بين السلف والمتكلمين، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط: 1، 1423هـ، 2002م، ص 80.

الاساس عندهم مرتكب الذنب إذا مات قبل أن يتوب فإنه كافر خالد في نار جهنم، ومن المعلوم كل الذنوب عندهم هي من الكبائر ولا يوجد ذنوب تسمى صغائر⁵¹، ومن هذه الامور قاموا بتكفير أمير المؤمنين علي (رضي الله عنه) بسبب التحكيم والذي يعتبرونه من الذنوب، وكذلك كفروا كل المسلمين إلا من وافهم في رأيهم هذا، إذن هم فقط مؤمنون والباقي كفار.

يتبين لنا أن الإيمان له شروط يعتمدها أهل العلم، وهي جميع الواجبات والاعمال الصالحة من الفروض والسنن، وكذلك من هذه الشروط اجتناب المعاصي والذنوب، إذا توفرت هذه الشروط يعتبر العبد مؤمناً، وهذه الشروط ما معناها هو الاعتقاد والقول والعمل، وكذلك يتبين لنا أن الأصل في الإيمان عند القاضي عبدالجبار هو العمل، الذي يعتبره المقياس الحقيقي للإيمان، وقولة المشهورة "إن المؤمن لا يسمى مؤمناً إلا إذا عمل في الإيمان واشتغاله به"، هناك رأي مخالف لهذا القول وهم الجهمية والذي رأيهم هو أن الإيمان هو المعرفة في القلب دون العمل، وكذلك أن الاعمال منها حسنة منها سيئة، أما الاعمال السيئة فمنها ما يستحق العقاب ومنها ما لا يستحق العقاب، إن الذي لا يستحق العقاب هو الطفل، لأنه لا علم له ولا قدرة له معرفة الحسن من السيئ.

⁵¹ القاضي عبد الجبار، شرح الاصول الخمسة، تح: عبد الكريم، الاستقلال الكبرى، القاهرة، ط1 1384هـ، ص632.

3.2. الكفر عند القاضي عبد الجبار

يثبت الكفر بارتكاب معصية مخالفة للشرعية، بإرادته وبدون تأثير خارجي عليه، وإن الكفر بفعل، وإن الكفر لا يخلقه الله تعالى، باعتبار الكفر من المقبحات، وإنما مرتبط بالإنسان، وإن الكافر بعدما تتبين له الشريعة و علمه بها وبعد هذا قام بالمعصية وبدون ضغوط عليه وبمحض إرادته، بعد ذلك يكون كافراً⁵².

أما بالنسبة للقاضي عبد الجبار فقد كان رأيه في مسألة الكفر ومقياسه لهذه المسألة هو العناصر الثلاثة، وهي العلم الشرعي للعمل والوقوع بالمعصية وبدون ضغوط، وطبق هذه العناصر على الفلاسفة وعلى المشبه وعلى الاتجاهات الأخرى، وقال القاضي عبد الجبار إذا سئل أحدكم عن مفهوم القبيح فأن القبيح هو الأفعال التي تستحق الذم، والأفعال على نوعين: الأول يستحق به الذم، والثاني لا يستحق به الذم، فالأول يقال له قبيح والثاني له حسن⁵³.

إن الله سبحانه وتعالى أوجب للكافر العذاب العظيم واسماً لمستحقين هذا العذاب، إذن هناك أمور أخرى متعلقة بها، أن يوجب يمنع في أمور عدة منها: لا يزوج أي يمنع من المناكحة، ولا يشمل بالميراث، وكذلك لا يدفن في مقابر المسلمين⁵⁴.

ولم يرى أحد من المسلمين في زمن النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، ولا في زمن الصحابة رضي الله تعالى عنهم ممن ارتكب من الذنوب والمعاصي ما هي من الكبائر ولم يورث ولا يزوج ولا يدفن في مقابر المسلمين.

⁵² الراوي، العقل والحرية دراسة في فكر القاضي عبد الجبار، 378/1.

⁵³ القاضي عبد الجبار، المختصر في أصول الدين، ص 349.

⁵⁴ الراوي، العقل والحرية دراسة في فكر القاضي عبد الجبار، 378/1.

إن الذي يخالف الأصول الخمسة للمعتزلة قد يصل إلى مرحلة الكفر، أو قد يصل إلى مرحلة الفسق، أو مرحلة الخطأ، إن المسائل التي هي أساس الدين وهي توحيد الله سبحانه وتعالى، وعدله تعالى، وإن العبد إذا لا يثبت لله تعالى ما أثبتته لنفسه تعالى وينفي ما أوجبه الله سبحانه وتعالى لنفسه، فبهذا يكون الإنسان كافراً، وأما مسألة العدل، إن الإنسان إذا أضافه إلى الله سبحانه وتعالى صفات القبح مثل الظلم والكذب، وكذلك مسألة عذاب أطفال الكفار بسبب ذنوب آبائهم وهذا غير صحيح، فصاحب هذه الأقوال يكون كافراً، ومن الأمور الأخرى التي يكون صاحبها كافراً، هي أن العبد الذي يقول أن الله سبحانه وتعالى لا يتوعد المذنب بالعقاب، ولا يوعده المطيع بالأجر والثواب، إن الذي يقول هذا القول إنه كافراً؛ لأنه خالف ما موجود في الدين من الضرورة، وإن العبد إذا قال إن الله سبحانه وتعالى نعم أوعده المطيعين بالأجر والثواب، وتوعد المذنبين بالعقوبة، لكنه يجوز له أن يخالف الوعيد الذي توعد به، وهذا الكلام قبيح؛ لأنه أخلف وعده، ولا يجوز على الله سبحانه وتعالى القبح فبهذا القول يكون كافراً، وكذلك إذا قال العبد إن الله تعالى وعد وتوعد لا يجوز أن يخلف وعده؛ ولكن يمكن الجواز أن يكون الاستثناء في الوعيد، وهذا الكلام غير صحيح، فيكون صاحب هذا القول مخطئاً⁵⁵.

وأما مسألة الشفاعة فإنها لا شك في وجودها، ولكن الشفاعة للمؤمنين لا للفاسقين من أهل الذنوب والمعاصي من الكبائر، وقد قال الله سبحانه وتعالى أنهم خالدون في نار جهنم، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾⁵⁶، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾⁵⁷، وكثير من الآيات تدل على أن الفاسق أي صاحب الكبائر لا تشمل له

⁵⁵ القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، ص 125.

⁵⁶ المائدة 5 / 72.

⁵⁷ غافر، 40 / 18.

شفاعة النبي (صلى الله عليه وسلم)، وإنما شفاعته للمؤمنين التائبين عن المعاصي والذنوب، وتكون شفاعته النبي (صلى الله عليه وسلم) للمؤمنين التائبين وذلك لرفع درجاتهم في الجنة، وكذلك إكراماً للنبي (صلى الله عليه وسلم)⁵⁸. إن هذا القول إنما لا نراه حقاً لأن شفاعته النبي (صلى الله عليه وسلم) تشمل أهل الذنوب والمعاصي من الكبائر دون الشرك والكفر، حتى إذا صاحب الكبيرة لم يتب، هذا ما نراه من الأدلة من القرآن والسنة النبوية.

إن الذي يقع في الذنوب والمعاصي حتى الكبائر منها فإن الله سبحانه وتعالى يتوب عليه إذا تاب إلى الله توبة نصوحة، وذلك استدلالاً بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾⁵⁹. إن هذه المسألة لا خلاف فيها أي أن صاحب الكبيرة من الذنوب والمعاصي إذا تاب إلى الله تعالى توبة نصوحة تاب الله عليه، كل الفرق تقول بهذا ونحن أيضاً نوافقهم في هذا القول.

وهناك أدلة عقلية على أن الله سبحانه وتعالى يتوب عليه إذا تاب، فإن الإنسان إذا ارتكب خطئاً ضد إنسان آخر ثم يعتذر منه، وإن من طبيعة البشر أنه يقبل الاعتذار، وأما الله سبحانه وتعالى فإنه يقبل توبة العبد إذا كانت توبته نصوحة خالصة لله تعالى، وبعد هذا يكون من أهل الجنة لا من أهل النار⁶⁰.

⁵⁸ القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، ص 93.

⁵⁹ الفرقان، 25/68.

⁶⁰ القاضي عبد الجبار، الأصول الخمسة، تح: فيصل بدير عون، مجلس النشر العلمي، الكويت، ط: 1، 1998م، ص 99-100.

ومن المعلوم أن أغلب المعتزلة يقولون بوجود عقوبة المذنب صاحب المعاصي الكبيرة، ولا يمكن شملهم بالشفاعة أو الغفران لهم، كما يقولون مرتكب الكبائر من المعاصي إذا أدخل النار لا يمكن الخروج منها أبداً.

هناك رأي آخر يخالفهم في هذا القول، أي أن الله سبحانه وتعالى إن شاء عذب أصحاب الذنوب من الكبائر، أو عفى عنهم، أو شفع فيهم شفعاء، هناك أدلة على ذلك من النقل والعقل، فأما الأدلة النقلية قول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾⁶¹، فيستدل من هذا أن غير الشرك أمره متروك إلى مشيئة الله تعالى إن شاء عفى عنه، ولكن الذي يحتج بهذه الآية ويقول إنها مع التوبة، هذه الحجة ضعيفة وواهية؛ لأن التوبة لا تحتاج إلى شفاعاة، ولا إلى مغفرة، ولا إلى عفو، ومن المعلوم أن مع التوبة تمحى وتسقط الذنوب والمعاصي والإثم الذي عليه، والدليل على ذلك "ما أجمع عليه العلماء أن التوبة تجب ما قبلها"⁶²، أي تعني تمحو وتزول الإثم والعقوبة، وإن التوبة إذا كانت خالصة لله تعالى وفيها صدق وندم فإن الله سبحانه وتعالى ضمن قبول هذه التوبة، وإن الذي تاب توبة بشروطها محيت عنه الذنوب وأصبح كمن لا ذنب عليه، وأما الدليل على من لم يتب عن الذنب قوله تعالى: ﴿وَأَخْرُوزَ مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَنْتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾⁶³.

⁶¹ النساء، 4/ 48.

⁶² أبو عبد الرحمن البسام، عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح بن حمد بن محمد بن حمد، تيسير العلام شرح عمدة الأحكام، تح: محمد صبحي بن حسن حلاق، مكتبة الصحابة، الإمارات، ط: 10، 1426هـ، 2006م، ص688.

⁶³ التوبة، 9/ 106.

وهناك أدلة عقلية يمكن الاحتجاج بها في هذا الأمر، هو أن الله سبحانه وتعالى من أسمائه وصفاته العلي الغفور العفو الكريم، ومن الواضح لنا أن الذي يتكلم بكلام واعد بالعقاب فيحق له تطبيق الكلام والوعد، وإذا أراد أن يعفو ويغفر فله الحق في ذلك؛ لأن الأمر متروك له وحده، فيحمد ويثنى عليه ويشكر.⁶⁴

إننا نرى أن صاحب الكبيرة لا يكون خالدا في نار جهنم إذا لم يتب، وإنما ينال عقوبته وبعد انقضاء المدة يخرج من النار إلى الجنة، هذا إذا لم يعفي الله تعالى عنه، وإن الكفر كما نعلم له صور متعددة منها الشرك بالله تعالى، وعدم التصديق بما جاء به النبي (صلى الله عليه وسلم) أو ببعضه هو كفر، أو التجاوز اللفظي على الله تعالى أو على نبيه هو أيضاً كفر.

إن من الذنوب والمعاصي ما هو منها كبيرة وصغيرة، وإن من الفرق ما جعلت كل الذنوب والمعاصي كبيرة ولا يوجد فيها صغائر، وإن هذا القول للخوارج، فجعلت كل المعاصي كبيرة أما بالنسبة للقاضي عبد الجبار فرأيه إن مسألة المعاصي الكبيرة والصغيرة أمرها متروك إلى الشرع أي إلى الله ورسوله، أي الكتاب والسنة هو الذي يحدد بوجود الكبائر والصغائر، والكفر هو المعصية التي توجب على صاحبها العقاب العظيم، ومن الأمور المتعلقة بها لا يصلح عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين، من الناحية الشرعية أن جميع الكفار مشركين.⁶⁵

إن صاحب الكبيرة عقابه يزيد على ثوابه أي أكثر منه، وأما صاحب المعصية الصغيرة فإن عقابه أقل من ثوابه.

⁶⁴ الزاغوني، أبي الحسن علي عبدالله بن الزاغوني، الإيضاح في أصول الدين، تح: عصام السيد محمود، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، 1424هـ، 2003م، ص 533.

⁶⁵ القاضي عبد الجبار، المختصر في أصول الدين، ص 371.

أن القاضي عبد الجبار يستدل بمعرفة المعاصي الكبيرة والصغيرة عن طريق الشرع وهو القرآن الكريم، ويستدل أيضاً على وجود الكبائر والصغائر باتفاق علماء الأمة على ذلك.

الفسق هو المعصية التي فيها حد، مثل الزنا والسرقعة، أو ما ذكر الرسول (صلى الله عليه وسلم) أو ما اجمع عليه من العلماء أنه كبيرة.⁶⁶

أما بالنسبة للدليل القرآني فهو قوله تعالى: ﴿مَالِ هَذَا كِتَابٍ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾⁶⁷، وكذلك قوله عز وجل: ﴿وَكُرْهُ الْيَكْمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾⁶⁸، إن الله سبحانه وتعالى بين في هذه الآية أن المعاصي على درجات فبدأ بأعظمها وهو الكفر، ثم جعل بعد الكفر الفسق، ثم جعل بعده العصيان، وإن الله سبحانه وتعالى عندما بين الكفر ثم الفسق وبعد ذلك العصيان أي الصغائر هي المقصودة، ومن الأدلة الأخرى على وجود الكبائر والصغائر قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾⁶⁹، ومن الواضح من معنى هذه الآية أن المقصود باللمم هو الصغائر؛ لأنه ذكر هنا استثناء، وللاستثناء يجب أن يكون له معنى أو فائدة، والمستثنى مغاير للمستثنى منه⁷⁰.

والفاسق عقابه دائم في النار وحاله حال الكافر ولكن يكون عقابه أقل من الكافر⁷¹.

⁶⁶ القاضي عبد الجبار، المختصر في أصول الدين، ص 380.

⁶⁷ الكهف، 50 / 18.

⁶⁸ الحجرات، 7 / 38.

⁶⁹ النجم، 32 / 53.

⁷⁰ الراوي، العقل والحرية دراسة في فكر القاضي عبد الجبار، 380/1.

⁷¹ القاضي عبد الجبار، المختصر في أصول الدين، ص 383.

إن القاضي عبد الجبار رأيته في أفعال العبد أنها غير مخلوقة لله تعالى، أي أن الأفعال أنها أفعال العباد، ولا تكون أفعال لله تعالى، أي أن فعل زيد لا يكون فعل عمر، كقول أن زيد قام وأكل، فإن القيام قيامه والآكل آكله، أي لا يكون لغيره⁷².

وكذلك أستدل أهل العلم رحمهم الله تعالى بالقرآن الكريم فقالوا: " قد ثبت أنه تعالى قد أضاف الفعل إلى العباد، فقال: ﴿هل ثوب الكفار ما كانوا يعملون﴾⁷³ "، الفعل إلى العباد هذا ما قالوه⁷⁴

إننا نرى أن من الذنوب والمعاصي ما هو منها من الكبائر وإن منها ما هو من الصغائر، وهذا ما عليه القاضي عبد الجبار، وإن من الفرق ما يجعل كل الذنوب من الكبائر ولا يوجد صغائر الذنوب، وهذا الرأي للخوارج، من هذا كله يتبين لنا أن من الذنوب والمعاصي لا تشملها الشفاعة النبي (صلى الله عليه وسلم) وهذه الذنوب هي الشرك والكفر بالله تعالى، وعند القاضي عبد الجبار أصحاب الكبائر أيضاً لا تشملها الشفاعة إذا لم يتب، وأما عند غيره من الأشاعرة وغيرهم من العلماء فإن أصحاب الكبائر تشملهم شفاعته النبي (صلى الله عليه وسلم) وإن لم يتوبوا، وكذلك نرى أن الكفر من المسائل الخطيرة جداً؛ لأن فيها الحكم على الناس، ومرتبطة بأرواحهم وأعراضهم وأموالهم، ولا يمكن الخوض إلا بعد التدقيق والروية في الأدلة وعدم الاستعجال في الحكم بالكفر، وإن الذنوب والمعاصي التي ما دون الشرك والكفر بالله تعالى إنها ليس بكفر، وأن مات مرتكبها قبل التوبة فإنه ليس بكافر.

⁷² القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب التوحيد والعدل، وقفية الأمير غازي للفكر القرآني، تح: سعيد زايد، موفق الطويل، ص 255.

⁷³ المطففين 83 / 36.

⁷⁴ القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب التوحيد والعدل، ص 257.

4.2. المنزلة بين المنزلتين عند القاضي عبد الجبار

إن من الأمور الدينية التي دار حولها النقاش والجدل بين المسلمين، والتي كانت سبب في افتراق الأمة الإسلامية إلى فرق، وهذا بعد المراحل الأولى لظهور الإسلام، وقبل أن يظهر عليها التأثير من الثقافات والفلسفات الخارجية⁷⁵.

وهذا لم يكن في زمن النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) وإنما بعده؛ لأنه عندما يختلفون في شيء في زمن النبي (صلى الله عليه وسلم) يردون إليه فيفسره إليهم ويوجههم ولا يختلفون بحضوره أو بعد أن يبين الأمر لهم؛ ولكن ظهر هذا الخلاف بعده وخصوصاً في خلافة عثمان وعلي (رضي الله عنهما).

وإن معنى هذه التسمية هو هل أن صاحب الكبيرة مؤمن أم كافراً، وكانت بداية هذه المسألة تدور حول عثمان (رضي الله عنه) هل هو كافر عندما قتل أم مؤمن، ولماذا قتل، والذين قتلوه هم كفار أم مؤمنين، وبعدها تطورت هذه المسألة من خاصة بعثمان (رضي الله عنه) من حادثة جزئية إلى أمر عام، ومنها ظهرت وبدأت أمور أخرى متعلقة بها، ومن هذه الأمور مسألة حقيقة الإيمان والكفر وزيادته ونقصانه، وإن البحث في هذه المسألة أظهر اختلاف الآراء، ومنها ظهرت الفرق الإسلامية، ومن هذه الفرق الخوارج، والمعتزلة والمرجئة⁷⁶.

إن المنزلة بين المنزلتين أصل من الأصول المهمة بل أساس الأصول الأخرى؛ لأنه سبب وجود هذه الفرقة، وسبب ظهور الأصول الأخرى.

⁷⁵ الشوايشي، سليمان الشوايشي، واصل بن عطاء وآراءه الكلامية، الدار العربية للكتاب، 1993م، ص 207.

⁷⁶ الشوايشي، واصل بن عطاء وآراءه الكلامية، ص 207.

من المعلوم أن صاحب الكبيرة لا يكون كافراً ولا يكون حاله كحال الذي يعبد الأصنام وغيرهم من الكفرة، وإن العبد الذي يقول بكفر صاحب الكبيرة فإنه كافراً؛ لأن دين النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) لم يقل بهذا، وإن العبد الذي يقول أن صاحب الكبيرة حكمه مؤمن في التعظيم والموالاتة لله سبحانه وتعالى، أنه يكون بهذا الكلام فاسقاً؛ لأنه خالف ما أجمعت عليه الأمة، وكذلك العبد إذا قال أن صاحب الكبيرة حكمه لا حكم المؤمن ولا حكم الكافر، لكنه يسمى مؤمناً فهذا يكون كلامه خطأ⁷⁷.

إن القاضي عبد الجبار له قول في هذه المسألة أي منزلة بين المنزلتين، هو إن مرتكب الكبيرة له أسم بين الاسمين، وحكم بين الحكمين.

إن واصل بن عطاء رأس المعتزلة ومؤسس هذه الفرقة الإسلامية وضع الفسق أي صاحب الكبيرة بين الإيمان والكفر، إنه قال: "إن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن مطلق، ومرتكب الكبيرة ليس بكافر مطلق"، إنما هو منزلة بين المنزلتين أي إنه ليس بكافر وليس بمؤمن إنما هو فاسقاً.⁷⁸

إن هذا الحكم الشرعي في صاحب الكبيرة والذي ينص على إنه منزلة بين المنزلتين أي إنه فاسق، إنه موقف سياسي في حق الأمراء و الولاة من الامويين، إن هذا الحكم على صاحب الكبيرة إذا لم يتب ومات على معصيته فإنه فاجر خالد في النار.

⁷⁷ القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، ص126.

⁷⁸ العمرجي، احمد شوقي ابراهيم، المعتزلة في بغداد واثارهم، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط:1، 1420هـ، 2000م، ص43.

إن هذا الموقف موقف قوي ضد مرتكب الكبيرة، وفي نفس الوقت لم يصل إلى حكم الخوارج المتطرف في هذه المسألة، وإنه أكثر قوة وقسوة من حكم الحسن البصري⁷⁹.

قال القاضي عبد الجبار: إذا سئل أحدكم عن هذه المنزلة ما هي قولوا له إنها تعني من زنى أو قام بذنب من الكبائر أو قتل نفس بغير حق إنه فاسق، وإنه لا يحكم عليه بمؤمن ولا يمدح ولا يعظم، لأنه يتبرأ منه ويلعن، ولا يحكم عليه بكفر ولا يقال له كافر، ولا يقام عليه أحكام الكافر في مسائل متعددة مثل: لا يصلى عليه أو لا يدفن مع المسلمين، ولا يورث، وهذا القول عكس حكم الخوارج وعكس رأي المرجئة الذين يقولون إنه مؤمن⁸⁰.

وإن المؤمن من الناحية الشرعية أسم مدح، وإن الله سبحانه وتعالى ذكر المؤمن في كتابه العزيز، قال الله عز وجل: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾⁸¹، وكذلك قال الله تعالى: ﴿يُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾⁸²، و قال أيضاً: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾⁸³.

وإن من الأمور المسلّم لها أن الفاسق يلعن يذم، المفروض أن لا يطلق عليه أسم مؤمن، ولا يطلق عليه فاضل أو صالح.

وأما الخوارج فقد استدلوا على أن صاحب الكبيرة كافر بأدلة نقلية وأدلة عقلية، فأما الأدلة العقلية قولهم: "إن الكافر إنما يسمى كافراً لأنه ترك الواجبات وأقدم على المقبحات وهذا حال الفاسق فيجب أن يسمى كافراً"، وكذلك من الأدلة النقلية التي احتجوا وتمسكوا بها كثيراً

⁷⁹ محمد عمارة، المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية، دار الشروق، بيروت، ط:2، 1408هـ، 1988م، ص 161.

⁸⁰ القاضي عبد الجبار، الاصول الخمسة، ص71. الشوايشي، واصل بن عطاء وآراؤه الكلامية، ص210.

⁸¹ المؤمنون، 1/23.

⁸² الإسراء، 9/17.

⁸³ الانفال، 4/8.

قوله تعالى: ﴿ولله على الناس حج البت من استطاع سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين﴾⁸⁴، يقولون أن الذي يترك الحج مع وجود الاستطاعة عليه كافر، وهذه كبيرة ترك الحج⁸⁵.

وإنه لا يقال للفاسق منافق؛ لأن من صفات المنافق هو الذي يخفي الكفر ويظهر الاسلام، وإن صاحب الكبيرة لا يتصف بهذه الصفات، حيث إنه لا يخفي الكفر، بل هو مخفيه ظاهر، وإذا تبين ذلك وإنه لا مؤمن ولا كافر ولا منافق تبين إنه فاسق.

إن الفاسق أسم للفسوق؛ لأنه خرج من طاعة الله إلى معصيته ومن أحباب الله تعالى إلى أعداء الله تعالى، وإن الفأرة يقال لها فويسقة، لأنها تخرج من جحرها وتسبب الأضرار للناس .

إن صاحب الكبيرة لا يطلق عليه أسم كافر، وكما هو واضح هذه التسمية فيها خلاف مع الخوارج. يتبين في هذه المسألة معنى الكفر من الناحية اللغوية والشرعية، إن الكفر من الناحية اللغوية يعني التغطية والستر، ومن هذا المعنى أن الليل يسمى كافراً لأنه حجب عنى ضوء الشمس، وأما الكفر من الناحية الشرعية فإنه يطلق على صاحب المعصية الذي يستحق العقاب العظيم، وكما بينا سابقاً أن صاحب هذه المعصية تقام عليه أحكام معينة وهي لا يدفن في مقابر المسلمين ولا يورث ولا يزوج. وإذا ثبت أن صاحب الكبيرة غير مشمول بها، فلا ينبغي أن يسمى كافراً⁸⁶.

⁸⁴ آل عمران، 3 / 97.

⁸⁵ القاضي عبد الجبار، الأصول الخمسة، ص 720، 721.

⁸⁶ الشواشي، وأصل بن عطاء وآراءه الكلامية، ص 210.

قال القاضي عبد الجبار أن الإنسان إذا ميز بين الذم الذي يتوجب عليه العقاب، وبين المدح الذي يترتب عليه الثواب فيجب عليه أن يختار المدح والثواب والابتعاد عن الذم والمعصية، ولهذا قال القاضي عبد الجبار صاحب الكبيرة لا يغفر له وفي النار إلا إذا تاب، وإن الله صادق في وعده ووعيده⁸⁷.

يقول الراوي أن فرقة المعتزلة قولهم في هذه المسألة جاء بما يتناسب مع الصدق الالهي في الوعد في حق أهل الاعمال الصالحة وهو إثابتهم، وكذلك في وعيده في حق أهل المعاصي وهو عقابهم، إن هذا المبدأ هو الذي جعل الإيمان متعلقاً بالعمل؛ ولذلك أن الإيمان لا يفيد الإنسان إلا إذا صدقه العمل الصالح، وإن أصحاب الكبائر لا تشملهم الشفاعة في يوم الحساب، إن المعتزلة لا يتساهلون مع الفاسق في فسقه، إن بعض علماء المعتزلة من قال إن بعض الفساق أكبر شراً من اليهود والنصارى، مع قولهم إنهم لا مؤمنين ولا كفار⁸⁸.

إن هذه المسائل العقل ليس له مجال فيها، وإنما هي تابعة للجانب الشرعي أي القرآن والسنة؛ وذلك لاعتمادها على الثواب والعقاب، وهذه الأمور لا يمكن العقل أن يحددها.

إن الفساق توعدهم الله تعالى أن لهم النار، وذلك استدلالاً بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾⁸⁹، وقال عز وجل أيضاً: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا

⁸⁷ العمرجي، المعتزلة في بغداد واثارهم، ص 210.

⁸⁸ الراوي، العقل والحريّة دراسة في فكر القاضي عبد الجبار، 380/1.

⁸⁹ النساء، 4 / 10.

تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا⁹⁰، وقال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْلِهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبرُهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّرًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾⁹¹، إن هذه الآيات الكريمة دليل على أن أصحاب الكبائر هم من أهل النار وكذلك القول بما ذكر الله تعالى أنهم خالدين في نار جهنم، وذلك استدلالاً لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾⁹²، وأن الله تعالى ذكر في موضع آخر فقال: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾⁹³. إن جميع المسلمين أجمعوا على شفاعته رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، تكون شفاعته رسول الله (صلى الله عليه وسلم) للمؤمنين الصالحين أو لمرتكبين الكبائر، إذا يوجد من يقول شفاعته للمؤمنين فهذا غير صحيح؛ لأن المؤمنين أوعدهم الله بالجنة والله لا يخلف وعده؛ إذن تكون الشفاعه لأصحاب الكبائر⁹⁴.

وإن من الردود على هذا القول مستدلين بما ذكره الرسول (صلى الله عليه وسلم) بأحاديث كثيرة، إن الله سبحانه وتعالى يخرج أقوام من أهل النار. إن رد القاضي عبدالجبار ومن وافقه في هذا الرأي أن هذه الأحاديث آحاد ولا تقطع بصحتها، هناك أخبار تعارضها، يجب الرجوع إلى القرآن الكريم والأدلة التي بينها سابقاً والتي تدل على خلودهم في النار، وأما بالنسبة لقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾

⁹⁰ النساء، 29/4.

⁹¹ الانفال، 16/8.

⁹² النساء، 14/4.

⁹³ النساء، 92/4.

⁹⁴ الأشعري، ابو الحسن علي بن اسماعيل بن عبدالله، الابانة عن اصول الديانة، دار ابن زيدون، لبنان، ط: 1، ص 69.

وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا⁹⁵، إن القاضي عبد الجبار يبين أن هذه الآية الكريمة معناه أن الله سبحانه وتعالى لا يغفر الشرك، وأن ما دون ذلك معناه الصغائر.⁹⁶

وأما الحجة الأخرى من القرآن الذي استدلو بها على خلاف قول القاضي عبد الجبار وذلك بقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾⁹⁷، أما تفسير القاضي عبد الجبار لهذه الآية تعني مع التوبة⁹⁸.

وكذلك استدلو بحديث الرسول (صلى الله عليه وسلم): «شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكِبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي»⁹⁹، وإن كان هذا الحديث صحيح فيعني من عمل الكبيرة ثم تاب، تحل له شفاعته النبي (صلى الله عليه وسلم). أما بالنسبة للفاسق إذا عمل طاعة على قول القاضي عبد الجبار لا يستحق الأجر والثواب، الله سبحانه وتعالى يقلل من عقابه¹⁰⁰، واستدلاً بقوله تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كِبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾¹⁰¹، إن مما يتبين أن القاضي عبد الجبار له قول في الفاسق، وهو يعذب في النار ومصيره الخلود وعقابه دائم ومستمر، وإن الدليل على هذا القول من القرآن الكريم وفي ذلك آيات كثيرة تدل على الوعيد، وإن هذه الآيات تدل على أن الفاسق يخلد في النار والتأبيد بدون خروج.

⁹⁵ النساء، 4/ 48.

⁹⁶ القاضي عبد الجبار، الأصول الخمسة، ص 92-93.

⁹⁷ الزمر، 39/ 53.

⁹⁸ القاضي عبد الجبار، الأصول الخمسة، ص 94-95.

⁹⁹ الطيالسي، أبو داود سليمان بن داود بن الجار البصري، مسند أبي داود الطيالسي، تح: محمد بن عبدالمحسن التركي، دار هجر، مصر، ط: 1، 1419هـ، 1999م، رقم الحديث 1774، 250/3.

¹⁰⁰ القاضي عبد الجبار، الأصول الخمسة، ص 93.

¹⁰¹ النساء، 4/ 31.

هناك عمليه ثانيه مفادها هو أن مرتكب الكبيرة ينطبق عليه أحد الحالتين وهي: أما يعفى عنه أو لا يعفى عنه، إذا لم يعفى عنه يكون مصيره الخلود في جهنم، وهذا الرأي هو قول القاضي عبد الجبار وأصحابه، قال القاضي عبد الجبار أن العقاب والثواب يكونان مستمرين وبدون انقطاع¹⁰².

أما الحالة الثانية وهي أن يعفوا عنه أما يدخل الجنة أو لا يدخل الجنة، إذا كان لم يدخل الجنة وهذا الأمر غير صحيح؛ لأنه لا يوجد مكان أو دار بين الجنة والنار، إذا قلنا لا يدخل النار لأنه عفى عنه إذن يجب أن يكون في الجنة وإذا كان مصيره إلى الجنة ودخلها فيكون دخوله الجنة إما متفضلاً عليه أو يدخلها مثاباً بعمله، ومن المعلوم أن لا يدخل الجنة متفضلاً عليه؛ لأن الأمة اجمعت أن المكلف إذا دخل الجنة حاله مميز عن الباقيين من الولدان المخلدين، ولا يدخل الجنة؛ لأنه لا يوجد لديه عمل يدخله الجنة أي غير مثاب¹⁰³.

إنا نرى ونقول أن صاحب الكبيرة من الذنوب والمعاصي لا يمكن إطلاق كلمة الكفر عليه، كما تبين من الأدلة السابقة التي ذكرت، ولكن الإيمان عنده موجود مع وجود الأعمال الصالحة ولا يمكن أن ننفي عنه الإيمان، ولكن في لحظة وقوع المعصية يزول عنه الإيمان، استدلالاً بحديث النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) « لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ »¹⁰⁴ وبعد الخروج من المعصية يكون مؤمن لكن ضعيف الإيمان، ولا نقول هناك منزلة بين المنزلتين، ويتبين أن هناك كفر وهناك إيمان، والإيمان فيه درجات.

¹⁰² القاضي عبد الجبار، المختصر في أصول الدين، ص 370.

¹⁰³ القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، ص 666-667.

¹⁰⁴ الصنعاني، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري البصري، المصنف، تح: حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي، الهند، بيروت، ط: 2، 1403هـ، رقم الحديث 13682، 415/7.

5.2. زيادة الإيمان ونقصانه عند القاضي عبد الجبار

قال القاضي بزيادة الإيمان ونقصانه؛ لأن الإيمان كل واجب يلزم المكلف القيام به، والواجب على بعض المكلفين أكثر من الواجب على غيرهم، فهو يزيد وينقص ومن المعلوم أن الإيمان هو اعتقاد بالقلب وقول باللسان وأخيراً التطبيق العملي هو العمل بالجوارح، وإن الإيمان هو جميع الواجبات¹⁰⁵، ولذلك قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (2) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ¹⁰⁶، يتبين في هذه الآية أن الإيمان منه نقصان وزيادة، وكذلك وصفه من الناحية الدينية فقال الله تعالى: ﴿وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾¹⁰⁷، وكذلك استدلالاً بقول الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم): «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق وهو مؤمن»¹⁰⁸، وكذلك قال: «لا إيمان لمن لا أمانة له»¹⁰⁹.

هذه الأفعال ذكرت إيمان، ولهذا السبب ينقص ويزيد، ومما واضح الدلالة أن الأعمال التي يقوم بها الإنسان من العبادات تختلف بين إنسان وآخر من حيث الكمية والنوعية؛ إذا عبادة البعض تكون أكثر أو أقل من عبادة البعض الآخر¹¹⁰.

¹⁰⁵ القاضي عبد الجبار، المختصر في أصول الدين، ص 383.

¹⁰⁶ الانفال، 8/ 2-3.

¹⁰⁷ البينة، 5/98.

¹⁰⁸ ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، تح: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط: 1، 1409هـ، 6/160.

¹⁰⁹ ابن راهويه، أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم الحنظلي المروزي، مسند إسحاق بن راهويه، تح: عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي، مكتبة الإيمان، المدينة المنورة، ط: 1، 1412هـ، 1991م، رقم الحديث 409، 382/1.

¹¹⁰ القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، ص 101.

وهذه الأدلة يتبين منها أن الإيمان ليس عمل فقط كما تدعي المرجئة، فسقطت حجتهم، أو الإيمان قول واعتقاد، يقولون أنه لا يزيد ولا ينقص، من هذا فإن الإيمان بين شخص وآخر مختلف، ويكون حسب العبادة، ومن هذا فإن الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) إيمانه أعظم وأعلى درجة من باقي البشر جميعاً، وعلى هذا الرأي فإن المرجئة لا يقولون به وعندهم غير صحيح¹¹¹.

وفي هذه المسألة قول لأبي حنيفة رحمه الله تعالى في زيادة الإيمان ونقصانه حيث أنه يعتقد بعدم زيادة الإيمان ونقصانه، وعنده العمل لا يدخل في حقيقة الإيمان، وإن قول أبي حنيفة في مسألة زيادة الإيمان ونقصانه مخالفة لرأي الأئمة الثلاثة الآخرين (الشافعي ومالك وأحمد) رحمهم الله أجمعين، والامام مالك بن أنس رحمه تعالى يقول "الإيمان قول وعمل يزيد وينقص"¹¹².

وللشافعي قول في هذه المسألة حيث يقول "الإيمان قول وعمل يزيد وينقص"، ويستدل الشافعي على زيادة الإيمان ونقصانه، إن أعضاء الإنسان أي جوارحه فرض الله تعالى عليها الإيمان، فكل عضو من أعضاء الإنسان عليه من الإيمان يختلف ما على العضو الآخر، فمثلاً القلب يتحكم بكل شيء في الجوارح، والعينان ينظر بهما وأذنان يسمع بهما، ومن ذلك يتبين أن ما فرض على القلب غير الذي فرض على الأذن أو اللسان، فإن الله تعالى فرض على القلب من الإيمان هو الإقرار والعقد والرضا، واستدله بقوله تعالى ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ

¹¹¹ القاضي عبد الجبار، المختصر في اصول الدين، ص 384-385.

¹¹² الخميس، اعتقاد الأئمة الأربعة، ص 19.

وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا¹¹³، وكذلك فرض على اللسان ما يعبر عن ما في القلب، واستدل بقوله تعالى ﴿قُولُوا آمَنَّا﴾¹¹⁴، فإن الإنسان إذا أدى كل الأعمال المفروضة على الجوارح كان مستكمل الإيمان وإذا كانت بعض جوارحه لا تؤدي ما عليها يكون ناقص الإيمان، وإن الإيمان إذا كان لا يوجد فيه نقص ولا زيادة لكان الناس متساوين ولا يوجد تفاضل بينهم، ولا يوجد درجات عند الله تعالى في الجنة، ولكن بزيادة الإيمان بين المؤمنين يتفاضلون الدرجات في الجنة¹¹⁵.

وللإمام أحمد بن حنبل رأي في هذه المسألة، حيث يقول أن الإيمان يزيد وينقص، حيث قال الإيمان الصلاة والزكاة والحج والبر، وكذلك قال المعاصي تنقص الإيمان، وعندما سئل عن الإيمان "قول وعمل يزيد وينقص، إذا زنى وشرب الخمر نقص إيمانه"¹¹⁶.

إننا نرى أن الإيمان لا يكون ثابت بين الشخصين، ولا يكون ثابت في الشخص نفسه، عندنا الإيمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي والذنوب، فكلما زادت الطاعات من العبادات واجتتاب المعاصي زاد الإيمان، وعكس ذلك كلما زادت الذنوب والمعاصي وترك الواجبات والسنن نقص الإيمان، وعلى هذا أدلة كثيرة من القرآن الكريم.

وإن القاضي عبد الجبار قوله في الإيمان الذي يقول فيه هو اعتقاد وقول باللسان وعمل بالجوارح هو قول الحق اتباعاً لكتاب الله تعالى ولسنة الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم).

¹¹³ النحل، 16/ 106.

¹¹⁴ البقرة، 2/ 136.

¹¹⁵ الخميس، اعتقاد الأئمة الأربعة، ص 51-53.

¹¹⁶ الخميس، اعتقاد الأئمة الأربعة، ص 69.

قال القاضي عبد الجبار إذا سئل أحدكم عن مفهوم القبيح فإن القبيح هو الأفعال التي تستحق الذم، والأفعال على نوعين: الأول يستحق به الذم، والثاني لا يستحق به الذم، فالأول يقال له قبيح والثاني له حسن.

قال القاضي عبد الجبار أن العقاب والثواب يكونان مستمرين وبدون انقطاع، وقال القاضي عبد الجبار الفسق هو المعصية التي فيها حد، مثل الزنا والسرقه، أو ما ذكره الرسول (صلى الله عليه وسلم) أو ما اجمع عليه من العلماء أنه كبيرة .

قال القاضي إن الفاسق عقابه دائم في النار وحاله حال الكافر ولكن يكون عقابه أقل من الكافر .

قال القاضي الكفر هو المعصية التي توجب على صاحبها العقاب العظيم، ومن الأمور المتعلقة بها لا يصلح عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين، من الناحية الشرعية أن جميع الكفار مشركين .

قال القاضي بزيادة الإيمان ونقصانه؛ لأن الإيمان كل واجب يلزم المكلف القيام به، والواجب على بعض المكلفين أكثر من الواجب على غيرهم، فهو يزيد وينقص.

إن الإيمان يزيد عند العبد كلما زاد في الطاعات، وتكون هذه الزيادة مرتبطة بالإخلاص لله سبحانه وتعالى، وأن يستمر على هذه الأعمال الصالحة، وإن الله تعالى فرض على العبد العبادات وتكون مفروضة على جوارح الإنسان، فكل جارحة تختص بعبادة خاصة بها، فالقلب له عبودية خاصة به، من هذه العبودية الاخلاص والتوكل والخوف والرغبة والصبر، وكثير من الاعمال القلبية، وكذلك عبودية الجوارح أي أعضاء جسم الإنسان الأخرى، تختص بعبادات

أخرى، من هذه العبادات الصدقة والصلاة والزكاة والوضوء، وكل عمل يقوم به العبد، وكذلك اللسان يختص بعبودية خاصة به، منها قراءة القرآن والتسبيح وكل عمل يكون باللسان، هذه الاعمال التي في القلب واللسان والجوارح هي من ضمن الإيمان وفي معناه، إن القيام في هذه الاعمال التابعة لهذه الأركان الثلاثة وهي القلب واللسان والجوارح الأخرى يزيد الإيمان، وإذا ترك العمل بهذه الأركان الثلاثة ينقص الإيمان¹¹⁷.

ومن المعلوم أن الدين الإسلامي من الأمور المهمة فيه بل هي الأساس الذي يبنى عليه قبول الأعمال ورفضها هو الإخلاص في العمل لله تعالى، وإن الإخلاص من أعمال القلوب، ومن هذا يتبين أن أعمال القلوب واجبة على كل مسلم، ومن هذا وايضاً يتبين وجوب تطهير القلب وتنقيته وإصلاحه قبل القيام بالعمل ومن ثم إصلاح العمل، لأن إصلاح الأعمال الظاهرة متوقف على إصلاح الباطن الذي في القلب، ولا عبرة للظاهر إذا كان الباطن غير صالح أي فاسد، أي لا إخلاص فيه لله سبحانه وتعالى، وهذا ما نراه في حديث النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) عن النعمان البشير قال سمعت رسول الله يقول: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب»¹¹⁸، ففي هذا الحديث يتبين أن قبول العمل متوقف على ما في القلب من صلاح ونية خالصة لله تعالى، وإن القلب إذا كان غير ذلك فلا فائدة من الأعمال التي يقوم بها العبد، ولهذا يقال القلب ملك الاعضاء وبقية الاعضاء جنوده، وهم مع هذا جنود طائعون له منبعضون في طاعته وتنفيذ

¹¹⁷ عبدالرزاق البدر، اسباب زيادة الإيمان ونقصانه، مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر، ط: 1، 1427هـ، 2006م، ص 41-42.

¹¹⁸ البخاري، محمد بن اسماعيل أبو عبد الله، صحيح البخاري، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط: 1، 1422هـ، رقم الحديث 52، باب فضل من استبرأ لدينه.

أوامره لا يخالفونه في شيء من ذلك، فإن كان الملك صالحاً كانت الجنود سالحة، وإن كان فاسداً كانت جنوده فاسدة، وكذلك قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾¹¹⁹، وكذلك قال ابن تيمية (رحمه الله) إن الأساس والاصل هو ما موجود في القلب، إذا كان فيه خير ظهر على البدن، وأيضاً إذا كان فيه فساد ظهر على الجسد، لأن الجسد موافق على ما في القلب¹²⁰، وكذلك قول النبي (صلى الله عليه وسلم): «من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان»¹²¹، إن هذا الحديث يبين لنا أن كل أعمال القلب والجوارح إذا كانت لله تعالى كان صاحبها في أعلى درجات الإيمان، وكذلك قول الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (1) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (2) وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (3) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (4) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (5) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (6) فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (7) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (8) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (9) أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (10) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفَرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾¹²²، ففي هذه الآيات ثمان صفات كل صفة تنمي وتزيد الإيمان، وكذلك قول النبي (صلى الله عليه وسلم) «الصدقة برهان»¹²³، في هذا دليل على إيمان الذي يتصدق، ومن كل هذه الأدلة يتبين أن الأعمال الصالحة تؤثر في زيادة الإيمان، وعلى هذا الرأي قال ابن تيمية (رحمه الله) إن العبد إذا قام بالأفعال التي أمر الله

¹¹⁹ الشعراء، 88/89.

¹²⁰ ابن تيمية، مجموع الفتاوى، 187/7

¹²¹ الطيالسي، مسند أبي داود الطيالسي، ط: 1، 1419هـ، 1999م، رقم الحديث 2596، باب ما أسند أبو هريرة.

¹²² المؤمنون، 11/1.

¹²³ مسلم، بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، رقم الحديث 223، باب فضل الوضوء.

تعالى بها وأمر بها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) دل على كمال الإيمان عند العبد، وإذا قصر في جانب من العبادات فقد نقص الإيمان.¹²⁴

لو لم يكن هناك فوارق في الإيمان فما الفائدة من الاعمال، يتبين لنا أن الإيمان هو جميع الواجبات والاعمال الصالحة التي يقوم بها العبد، وأن هذه الاعمال والافعال ذكرت بمعنى الإيمان، وبما أنه هذه الاعمال الصالحة التي يقوم بها العبد تتفاوت بين الشخص والآخر؛ إذن الإيمان يزيد وينقص حسب القيام بهذه الاعمال، مما يتبين أن هذه الاعمال يقوم بها البعض أكثر من غيرهم؛ إذن يزيد عندهم الإيمان، ومن المعلوم أن إيمان النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) أكثر من إيمان باقي البشر، وإن الإيمان هو اعتقاد بالقلب وقول باللسان والنتيجة تظهر بالتطبيق العملي وهو العمل بالجوارح، والأئمة الثلاثة يقولون بزيادة الإيمان ونقصانه وهم الإمام الشافعي والإمام أحمد بن حنبل، والإمام مالك، رحمهم الله أجمعين، إلا الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى فإنه لا يقول بزيادة الإيمان ونقصانه، ولا يمكن أن يكون إيمان البشر متساوي، وإنما هناك فوارق ودرجات في الإيمان، وإنا نرى أن الإيمان لا يكون ثابت في الشخص الواحد، لأن الإيمان يزيد بالطاعات وينقص بالذنوب والمعاصي، فكلما زادت الطاعات من العبادات واجتتاب المعاصي زاد الإيمان، وعكس ذلك كلما زادت الذنوب والمعاصي نقص الإيمان، وكذلك يتبين أن للقلب مكانة عظيمة؛ لأنه الأساس الذي يقبل به العمل، لأن الاخلاص شرط قبول العمل والاخلاص محله القلب، إذن من أعمال القلوب هو الإخلاص وهذا في القلب، من المعلوم أن الإيمان هو اعتقاد وقول وعمل، بينا الاعتقاد وهو موجود في القلب والعمل في

¹²⁴ ابن تيمية، مجموع الفتاوى، 172/37

الجوارح، وأما اللسان فله اعمال خاصة به وهي قراءة القرآن، والتسبيح، والأذكار، فكلما زاد عمل اللسان زاد إيمان العبد.

3. الإيمان والكفر عند القاضي الباقلاني

1.3. ولادة ونشأة ودراسة ومؤلفات القاضي الباقلاني

هو القاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر الباقلاني (ت 403هـ)، وقد أخذ هذه التسمية أي الباقلاني نسبة إلى بيع الباقلاء، وفي رواية أخرى يقال انها مأخوذة من قصر الباقليين وهو في مدينة البصرة، وكان يلقب ب "سيف السنة ولسان الأمة"، كان متكلم يناظر ويجادل بالأدلة، وكان يدافع عن المذهب الحسن الاشعري، لا يوجد في المؤلفات ولا في كتب التأريخ ما يذكر تأريخ ولادته، إنه ولد في مدينة البصرة، وبعدها تحول الى بغداد وفي بغداد درس وسمع الحديث على يد مجموعة من العلماء، من هؤلاء العلماء أبي بكر بن مالك القطيعي، وأبي أحمد الحسن بن علي النيسابوري، وكذلك درس علم النظر والاستدلال على يد الشيخ عبدالله بن مجاهد الطائي، كان القاضي الباقلاني عالم بعلم الكلام بل كان اعلم زمانه، كان يتميز بالحجج القوية وذو لسان حاد، ألف كتب كثيرة رداً على المعتزلة والجهمية والخوارج وعلى كل المخالفين، كان القاضي الباقلاني بعد هذه المميزات التي امتازها على بقية أقرانه أصبح رئيساً لهذا المذهب والمرجع لهم¹²⁵، كان يتميز في مناظراته سريع الرد في الجواب والحجة القوية، وكان في مناظراته الكل يستمتع في كلامه، يروى أن ملك الدولة الاسلامية الملقب بعضد الدولة، قام بأرسال رسالة بيد القاضي الباقلاني إلى ملك الروم، فلما جاء

¹²⁵ أبو العباس، شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 270-269/4.

الباقلاني إلى المدينة ووصل قصر الملك وأخبروا الملك بوصول مرسل من ملك الدولة الإسلامية، وبينوا له من هو الباقلاني، وقد كان من عادة الروم أن الذي يدخل على الملك ينحني ويقبل الأرض عند الملك، وكان يعلم أن الإسلام لا يفعلوا هذا فاراد أن يجبر القاضي بحيلة أن يركع وبدون أجبار الملك وحاشيته، فأمر الملك بوضع السرير الذي يجلس عليه في غرفة بابها صغي بحيث إذا دخل منه أحد لا يستطيع الدخول حتى ينحني ظهره ويدخل، فأمر بادخاله إليه فلما أقترّب من الباب عرف الحيلة التي وقع فيها، لكنه وجد حل بالحظة، أحنى ظهره ودخل الباب ولكن يمشي للخلف أي ظهره باتجاه الملك، فلما وصل إلى الملك رفع رأسه ودار وجهه باتجاه الملك، عندما رأى الملك هذا الفعل بدا يوقر ويعظم القاضي الباقلاني، أما عن عبادته فكان يصلي كل يوم قيام الليل عشرين ركعة مستمراً عليها في الحظر وفي السفر، وكان في كل يوم في الليل يضع أدواته ويكتب يومياً خمساً وثلاثين ورقة من حفظه، من المعلوم أن المؤلفات والكتب تؤخذ من كتب الناس، إلا كتب ومصنفات القاضي الباقلاني فإنه لا يأخذها من كتب الناس، ولكن يكتبها من حفظه، ألف القاضي الباقلاني مؤلفات كثيرة، وهذه المؤلفات تكون في مناصرة أهل السنة، ومن أشهر كتبه ومؤلفاته هي كتاب (الأستشهاد في الرد على أهل الجحد والعناد)، وكتاب (الأصول الكبير في الفقه)، وكتاب (مناقب الأئمة)، وكتاب (أكفار المتأولين)، وكتاب (كشف الاستار في الرد على الباطنية)¹²⁶.

وفاة القاضي الباقلاني: توفي القاضي الباقلاني سنة (403هـ) في مدينة بغداد، دفن في دار أبنه الحسن، ثم بعد ذلك نقل إلى مقبرة باب حرب، ويروي ابن عساكر أن يوم وفاته حضر الشيخ أبا الفضل التميمي، كان حافياً أي لا يلبس شيء في قدميه، فقال لمن معه من

¹²⁶ الباقلاني، تمهيد الاوائل وتلخيص الدلائل، ط: 1، ص 9-13-14.

أصحابه أن ينادي ويقول "هذه جنازة ناصر السنة والدين هذا إمام المسلمين هذا الذي كان يذوب عن الشريعة السنة المخالفين، هذا الذي صنف صبعين ألف ورقة"، قال الشاعر فيه

انظر إلى جبل تمشي الرجال به وانظر إلى القبر ما يحويه في الصلق

وانظر إلى صارم الاسلام متغمداً وانظر إلى درة الإسلام في الصدق.¹²⁷

2.3. الإيمان عند القاضي الباقلاني

إن الإيمان من المسائل التي دار حولها النقاش، ومن الأمور المتعلقة بها هي هل الإيمان هو النية الصادقة في القلب أم في اللسان أم عمل الجوارح أيضاً تابعة للإيمان، إن الأمة الإسلامية فترقت في معنا الإيمان إلى فرق، ولكن إننا نتبع قول الله سبحانه وتعالى ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾¹²⁸. ومن هذه الفرق التي كان لها قول في معنى الإيمان هم الأشاعرة، ومن علمائهم البارزين القاضي الباقلاني (رحمه الله).

إن الإيمان عند الباقلاني قسمين، القسم الأول وهذا مرتبط بالله سبحانه وتعالى ويسمى الإيمان القديم، "إيمان الحق سبحانه وتعالى؛ لأنه سمي نفسه مؤمناً، فقال: ﴿السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمُ﴾"¹²⁹، وقول الله عز وجل ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾¹³⁰، وفي هذه الآية دليل على أن إيمان الله سبحانه وتعالى تصديقه لنفسه، أما القسم

¹²⁷ أبو العباس، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ص 269.

¹²⁸ النساء، 4/ 59.

¹²⁹ الحشر، 59/ 23.

¹³⁰ آل عمران، 3/ 18.

الثاني من الإيمان فهذا مرتبط بالإنسان ويسمى الإيمان المحدث، واستدللاً بقوله سبحانه وتعالى ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾¹³¹، أي معنى هذا خلق الإيمان في قلوبهم.¹³²

وكذلك قول الله سبحانه وتعالى ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾¹³³، بما أن العبد مخلوق؛ إذا صفته مخلوقة، والإيمان صفة للعبد؛ إذن الإيمان صفة مخلوقة في الإنسان، ومن المعلوم أن صفة ذات الخالق قديمة، ولا يمكن القول صفة الإنسان قديمة، وكذلك لا يمكن القول صفة القديم محدثة، فقال في معنى الإيمان هو ما يوجد في القلب من تصديق بأن الله سبحانه وتعالى إله واحد، وتصديق بأن النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) نبي الله، وأن كل ما جاء به هو من عند الله سبحانه وتعالى وهو الحق، وأن الإيمان ليس فقط في القلب، وإنما هو ما يجري على اللسان والاعتراف به، وكذلك هو أيضاً ما يقوم به العبد من الأعمال، وإذا اجتمعت هذه الأمور الثلاثة، أي إيمان القلب ونطق اللسان وعمل الجوارح في العبد هذا هو المؤمن الحقيقي عند الله سبحانه وتعالى وكذلك عند البشر¹³⁴.

وكذلك قال في معنى الإيمان: الإيمان هو العلم بالله عز وجل والتصديق به، وإن مسألة التصديق فمكانها هو القلب، وإن مما يستدل به عند الباقلاني (رحمه الله تعالى) أن أصحاب اللغة أجمعوا على أن الإيمان في لغة العرب وهذا قبل نزول الوحي على النبي محمد (صلى الله

¹³¹ المجادلة، 22/58.

¹³² الباقلاني، الإنصاف فيما يجب اعتقاده وما لا يجوز الجهل به، تح: محمد زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، 1412هـ، 1992م، ص 51-52.

¹³³ الحجرات، 49/7.

¹³⁴ الباقلاني، الإنصاف فيما يجب اعتقاده وما لا يجوز الجهل به، ص 52.

عليه وسلم) أي قبل نزول القرآن الكريم، الإيمان عندهم هو التصديق في لغتهم ولا يفهمون في لغتهم غير هذا إيماناً¹³⁵.

وإن مما يستدل به من كتاب الله عز وجل على هذا المعنى هو قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾¹³⁶، وإن معنى هذه الآية إنك لا تصدق بنا ولو كنا صادقين، وكذلك من الأدلة على ذلك هو قول المتكلم عندما يقول: (فلان يؤمن بالصراط)، و(فلان لا يؤمن بالصراط)، وهذا يعني أنه لا يصدق بالصراط؛ إذن من هذه الأدلة يستلزم ويوجب علينا أن نفهم أن الإيمان في اللغة لا يختلف عن معناه من الناحية الشرعية، وكذلك أن الله سبحانه وتعالى لم يغير لسان العرب، لم ينقل من الأمة شيء من هذا، وهذا امر مهم، وإن الله سبحانه وتعالى لو اراد أن يكون المعنى والمفهوم والمراد غير هذا، أو غير لسان العرب، لنقل إلينا وبدون إحراج لأن الأمة ملزمة بنقل مثل هذه الأمور إلينا. إن هذا الذي ذكرناه لم يرد دليل على أن الله سبحانه وتعالى اقره أو أمر به، وإن الله تعالى أمر أسماء الأشياء و التخاطب على ما كان فيها من معنى، وإن مما يستدل به على أن الإيمان معناه من الناحية اللغوية لا يختلف عن معناه من الناحية الشرعية، قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ﴾¹³⁷، وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾¹³⁸، إن الله تعالى بين في هذه

¹³⁵ الباقلائي، تمهيد الاوائل وتلخيص الدلائل، ص 389.

¹³⁶ يوسف، 12 / 17.

¹³⁷ إبراهيم، 14 / 4.

¹³⁸ الزخرف، 43 / 3.

الآيات أن القرآن بلغة العرب وبلسانهم وسمى الأشياء بتسمياتهم أي بلغتهم وبلسانهم، ولا يمكن أن نغير تفسير هذه الآيات عن معناها الظاهر إلا بدليل آخر من الشرع¹³⁹.

الإيمان خصلة من خصال الإسلام، وكل إيمان إسلام، وليس كل إسلام إيمان، والإسلام هو الاستسلام و الانقياد، وإن الإنسان إذا اطاع ربه تعالى في جميع أموره وإنقاد له فهو مسلم¹⁴⁰.

سأل أبو مطيع (رحمه الله تعالى) أبو حنيفة (رحمه الله تعالى) عن أفضل الفقه، فكان جواب أبو حنيفة على هذا السؤال هو (يتعلم الرجل الإيمان)، ومعنى التعلم للاستمرار والديمومة والثبات على الإيمان، وكذلك معرفة أحكام الإيمان¹⁴¹.

لأهل الكلام ولأهل العلم كافة أراء مختلفة في الإيمان والإسلام، فمنهم من قال لا فرق بين الإيمان والإسلام، مستدلين بقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾¹⁴²، ومنهم من قال يوجد فرق بين الإيمان والإسلام، مستدلين بقول الله سبحانه وتعالى ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾¹⁴³، ومن هذه الآية تبين لهم أن الإيمان والإسلام متغايرين.

¹³⁹ الباقلاني، تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، ص390.

¹⁴⁰ الباقلاني، تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، ص390، 389، 392.

¹⁴¹ أبو منصور الماتريدي، أبي منصور محمد بن محمود الحنفي الماتريدي، كتاب شرح الفقه الأكبر، جمعية دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ص5.

¹⁴² آل عمران، 3/ 85.

¹⁴³ الحجرات، 49/ 14.

إننا نرى هناك فرق بين الإيمان والإسلام، وذلك عندما جاء جبريل إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) على هيئة رجل، وكان جالساً مع أصحابه فوضع ركبتيه إلى ركبتي النبي (صلى الله عليه وسلم) فسأله عن الإسلام فقال شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت الحرام وصيام رمضان، فقال له صدقت، ثم سأله عن الإيمان فقال النبي (صلى الله عليه وسلم) الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر والإيمان بالقدر خيره وشره، فقال له صدقت، ثم سأله عن الإحسان فقال النبي (صلى الله عليه وسلم) الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك¹⁴⁴، ولقد تبين من هذا الحديث أنه جبريل (عليه السلام) جاء ليعلمهم الدين هذا ما أخبر به النبي (صلى الله عليه وسلم)، ولو لم يكن هناك فرق بين الإسلام والإيمان لم يسأل جبريل (عليه السلام) هذا السؤال، ولو لم يكن هناك فرق بين الإسلام والإيمان لما كان جواب النبي (صلى الله عليه وسلم) مختلف في السؤالين.

ومما يتبين إن للعلماء أقول مختلفة في هذه المسألة، فهذا أبو منصور الماتريدي له رأي آخر، فيقول أبو منصور أن الإيمان هو معرفة الله سبحانه وتعالى بالألوهية ومكانه القلب، وقد أستدل بقول الله سبحانه وتعالى ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾¹⁴⁵، ومن جملة تعليقاته على هذا، أن القلب مكانه الصدر وأن المعرفة معرفة الله تعالى بكل ما يتصف من الصفات، ومكان وهذه المعرفة هو الفؤاد وهو داخل القلب، وكذلك مفهوم التوحيد هو العلم والمعرفة بالله سبحانه وتعالى بالوحدانية، وأما مفهوم الإسلام فهو معرفة الله سبحانه وتعالى من

¹⁴⁴ التَّحِثَاتِي، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي، سنن أبي داود، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، باب القدر، رقم الحديث 4695، 223/4.

¹⁴⁵ الحجرات، 49/7.

غير كيف و مكانه الصدر، وقد استدل على هذا بقوله سبحانه وتعالى: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ
لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ﴾¹⁴⁶.

وكذلك يقول أبو منصور الماتوريدي (رحمه الله) الإيمان بالقلب يكون متعلق بال عقل
وكذلك متعلق بالسمع، أي مرتبطان معاً، وقد أستدل على ما في السمع في قول الله سبحانه
وتعالى ﴿الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾¹⁴⁷، ومن هذا يستدل أن إيمانهم الذي نطقوا
به في لسانهم لم يكن إيماناً لأن قلوبهم لم تكن مؤمنة حقاً، وهذه الآية نزلت في المنافقين،
وكذلك قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ
عَلَيْكُمْ أَنْ هَذَا كُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾¹⁴⁸، فبين الله سبحانه وتعالى أنهم لو صدقوا ما قالوا
بألسنتهم لأصبحوا من المؤمنين الحقيقيين، وإذا كان الإيمان ليس له علاقة بالقلب، فقط مرتبط
بالسان وهؤلاء الذين ينطقون به لأصبحوا من الصادقين، وهذا مخالف للآيات القرآنية، وكذلك
قول الله سبحانه وتعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَاْمْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ
بِإِيمَانِهِنَّ﴾¹⁴⁹، وكذلك قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ
قَوْمٌ يَفْرُقُونَ﴾¹⁵⁰، والله سبحانه وتعالى أخبرنا بكذبهم، ثم قال: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ﴾¹⁵¹، والله
سبحانه وتعالى وحده يعلم حقيقة الإيمان، ومن الأدلة الأخرى التي استدل بها هذا العالم هي

¹⁴⁶ الزمر، 39 / 22.

¹⁴⁷ المائدة، 5 / 41.

¹⁴⁸ الحجرات، 49 / 17.

¹⁴⁹ الممتحنة، 60 / 10.

¹⁵⁰ التوبة، 9 / 56.

¹⁵¹ النساء، 4 / 25.

قوله وتعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾¹⁵²، الله سبحانه وتعالى لم يجعل ما قالوه بألسنتهم إيماناً؛ لأنه مخالف لما في قلوبهم¹⁵³.

المنافقين أخبرنا الله سبحانه وتعالى عنهم بأنهم في جهنم، وأن المؤمنين في الجنة، وأن المنافقين لو كان ما أظهروا من الإيمان على ألسنتهم إيماناً حقاً لكان حقاً على الله يدخلهم الجنة، وإنما الله سبحانه وتعالى توعدهم بالنار، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾¹⁵⁴، بين الله تعالى أن هذا الإيمان هو خداع لله، وهناك أدلة كثيرة تدل على أن المنافقين كفروا، والكفر والإيمان متضادان، وبالكفر نبتعد عن الإيمان، وبالإيمان نبتعد عن الكفر، ولقد تبين من هذه الآيات أن المنافقين كفرة، وكذلك أنهم كذبة بما كانوا ينطقون به في ألسنتهم، والدليل على كذبهم قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾¹⁵⁵، فبين الله سبحانه وتعالى أن التكذيب بالقلب والجحود كذباً، ومن هذا يتبين لا يمكن أن يكون الإيمان إلا في القلب. والإيمان من الناحية اللغوية يعني التصديق، ولا يمكن أن يكون الشيء مخالفاً له أي ضده، وإن الله سبحانه وتعالى عفى واستثنى الكفر باللسان إذا أوكره عليه وكانت هذه الكلمة فقط من اللسان ولم تكن من القلب، واستدللاً على ذلك قول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾¹⁵⁶، أي إيمان القلب هو الذي رفع عنه الكفر.¹⁵⁷

¹⁵² البقرة، 2 / 8.

¹⁵³ أبو منصور الماتريدي، كتاب التوحيد، تح: د بكر طوبال اغلي، دار صادر، بيروت، 1422هـ، 2001م، ص471.

¹⁵⁴ البقرة، 2 / 9.

¹⁵⁵ المنافقون، 63 / 1.

¹⁵⁶ النحل، 16 / 106.

¹⁵⁷ أبو منصور الماتريدي، كتاب التوحيد، ص472-473.

وقد تبين من هذا كله أن الإيمان مكانه ومحله هو القلب، ومن أهل العلم من يقول أنه لا يوجد في القلب التصديق، لكنهم يقولون يوجد في القلب المعرفة، وهذا القول غير صحيح؛ لأن التصديق في القلب كما بينا سابقاً، وبما إنه من الناحية اللغوية الإيمان هو التصديق، والكفر يعني تكذيب وعكس المعرفة الجاهلة، وإن الذي ليس له علم بشيء أي لا معرفة به أي جاهل به لا يمكن أن يعتبر هذا الشخص مكذب به، وذلك استدلالاً بقول الله سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾¹⁵⁸، ومعنى هذه الآية أنكم لا تعرفون شيئاً، ومن هذا يستدل الإيمان هو تصديق بالقلب ويختلف عن المعرفة، ومن المعلوم أن الذي يؤدي ويثبت التصديق هي المعرفة، وإن مما يؤدي إلى التكذيب هو عدم المعرفة أي الجاهلة به، ومن هذا يمكن أن نقول أننا بكل الرسل ولا يمكن أن نقول بمعرفتهم في القلب، وأن الله سبحانه وتعالى عندما قال لإبراهيم (عليه السلام): ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ﴾¹⁵⁹، ومعنى هذا القول أولم تؤمن بهذا الخبر أو بالذي عرفت، فكان الجواب نعم، وأن الله سبحانه وتعالى لم يسأله عن العلم، أي لم يقل له أولم تعلم.¹⁶⁰

الإيمان من الناحية اللغوية يعني التصديق، إن الشخص إذا جاءه خبر أو معلومة من شخص آخر فصدق هذه المعلومة يعتبر مؤمناً بها، يتبين أن هذا المعنى من الناحية اللغوية ينبع من الإيمان في القلب، وهذا هو الإيمان المطالبون به من الناحية الشرعية اتجاه الله

¹⁵⁸ الحجر، 62 / 15.

¹⁵⁹ البقرة، 260 / 2.

¹⁶⁰ أبو منصور الماتوريدي، كتاب التوحيد، ص 478، 479.

سبحانه وتعالى، وكذلك اتجاه الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) بالذي أنزل عليه من الله سبحانه وتعالى وهو القرآن الكريم¹⁶¹.

ويجب على العبد الاعتراف بهذا الإيمان في لسانه ليتعرف عليه الناس وتطبق عليه أحكام الإسلام.

أما قول الأشاعرة في الإيمان معناه من الناحية اللغوية وكذلك النطق به في اللسان وهذا يعتبر التصديق وهو الإيمان الحقيقي، وذلك استدلالاً بما قاله الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾¹⁶²، وهذه الآية تعني وما أنت بمصدق، وإن ما عرفه قلبه ونطق به في لسانه وهذا هو الإيمان الحقيقي، فيكون مؤمن باطناً وظاهراً، وإن الإنسان إذا كان عالماً في قلبه ولكن لم ينطقها في لسانه كلمة الإيمان وذلك تكبراً وعناداً، هذا الإنسان عند الله سبحانه وتعالى من الكافرين، وهذا الكفر يسمى كفر عناد وجحود، وهذا ما عليه فرعون، وكثير من المعاندين، أحبار اليهود عندما وجدوا اسم النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) في التوراة فكفروا به جحوداً وحسداً، وهم كفار بهذا عملهم، وإن الإنسان الذي يخفي كفره ويظهر كلمة الإيمان فإنه من النافقين وإنه في الدرك الأسفل من النار¹⁶³.

¹⁶¹ النسفي، أبو معين، ميمون بن محمد بن محمد بن معتمد بن محمد بن مكحول بن الفضل النسفي المكحولي، التمهيد لقواعد التوحيد، تح: حبيب الله حسن أحمد، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، 1406هـ، 1986م، ص377.

¹⁶² يوسف، 12 / 17.

¹⁶³ الجويني، إمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني، العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية، تح: محمد زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، 1412هـ، 1992م، ص84، 85.

وإن الإيمان عند بعض العلماء له تفسير آخر من الناحية الشرعية، أما من الناحية اللغوية فلا يختلف عن الباقيين، وهو التصديق عند أغلب أهل الدين، أما من الناحية الشرعية فهو يعني "الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله"، وهذا يعني كل ما يتعلق بالله سبحانه وتعالى من الأحكام الشرعية، والأجر والثواب عليها، وكذلك بتصديق الرسول محمد (صلى عليه وسلم) بما جاء به من الشرع إجمالاً وتفصيلاً، وهذا الرأي وهذا القول يقول به كثير من العلماء من المعتزلة منهم ابن الراوندي، وهناك رأي آخر يخالف هذه الآراء والأقوال الإيمان عندهم هو الشهادتين أي أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، وهذا الرأي كان للكرامية، وهناك رأي آخر يقول الإيمان هو التصديق مع الشهادتين، وقد قيل هذا الرأي لأبي حنيفة رحمه الله، وهناك رأي آخر يقول الإيمان هو الأعمال التي يقوم بها الإنسان في جوارحه، وهذه الأعمال سواء كانت فرضاً أو نفلاً بأسرها أي جميعها، وهذا الرأي للخوارج وكذلك تبناه العلاف، وكذلك منهم من قال الأعمال المفروضة فقط، وهذا القول لكثير من أهل العلم منهم الجبائي وكذلك البصريون من المعتزلة، وهناك من يقول أن الإيمان مرتبط بأمرين هما قول باللسان وعمل بالجوارح، ولا يمكن التفريق بينهما أبداً؛ لأنه لا يوجد إيمان بدون عمل وكذلك لا يوجد عمل بدون إيمان، وهناك آراء أخرى في معنى الإيمان، ومن هذه الآراء رأي يقول "الإيمان هو التصديق بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالأركان وهذا الرأي لأهل الحديث وكثير من سلف الأمة ومن بينهم مجاهد¹⁶⁴.

¹⁶⁴ الإيجي، عضدالله والدين، القاضي عبدالرحمن بن أحمد، المواقف في علم الكلام، عالم الكتب، بيروت، ص374-375.

والإيمان كما تبين لنا يدور حول القلب و اللسان والأعمال، كل الآراء تتكلم حول هذه المواضع الثلاثة، فمنهم من قال الإيمان في القلب ومنهم من قال الإيمان النطق باللسان ومنهم من قال القلب واللسان ومنهم من قال الأعمال هي الإيمان.

إن الرأي الذي يقول الإيمان هو التصديق في القلب والأعمال والجوارح لا تدخل في الإيمان، ويستدل على ذلك بآيات من القرآن الكريم.

من هذه الآيات التي يستدل بها على أن الإيمان هو التصديق في القلب، قول الله سبحانه وتعالى: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾¹⁶⁵، وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾¹⁶⁶، وقوله تعالى: ﴿وَقُلُوبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾¹⁶⁷، وكذلك من الأدلة التي يستدل بها على أن الإيمان محله القلب هو الأدعية التي كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يدعو بها ومن هذه الأدعية قوله (صلى الله عليه وسلم): «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»¹⁶⁸، وكذلك قوله (صلى الله عليه وسلم) لأسامه عندما قتل في المعركة رجل من الكفار وقبل أن يضربه بالسيف نطق بالشهادة ولكن أسامه ضربه فألقاه قتيلًا، وعندما سمع الرسول (صلى الله عليه وسلم) بذلك فقال له لماذا قتلته وهو نطق لا إله لا الله فقال أسامه إنه نطقها خوفاً من السيف، فقال له النبي (صلى الله عليه وسلم) «هلا شققت قلبه»، وهذه الأدلة كلها تبين أن الإيمان محله القلب؛ إذن لابد أن يكون التصديق والمعرفة متعلقة به، هناك آيات من القرآن الكريم فيها

¹⁶⁵ المجادلة، 22/58.

¹⁶⁶ الحجرات، 14/49.

¹⁶⁷ النحل، 106/16.

¹⁶⁸ الطيالسي، مسند أبي داود الطيالسي، باب ما روت أم سلمة عن النبي، رقم الحديث 1713، 181/3.

الإيمان مرتبط بالأعمال الصالحة، مثل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾¹⁶⁹، في هذه الآية دل على الاختلاف بين الإيمان والعمل وأن الإيمان ليس له علاقة بالعمل؛ لأنه من الناحية اللغوية "لا يمكن عطف الشيء على نفسه ولا الجزء على كله"، وهناك آيات من القرآن الكريم فيها الإيمان قرن بصد الأعمال الصالحة، مثل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾¹⁷⁰، وإن في هذه الآية مما يبين وجود الإيمان مع وجود الاقتتال، وكذلك إن قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾¹⁷¹، في هذه الآية الكريمة يتبين أن الإيمان موجود مع وجود الظلم، "من المعلوم أن الشيء لا يمكن اجتماعه مع ضده، ولا مع ضد جزئه"؛ إذن يتبين من هذه الآيات أن الأعمال أي فعل الجوارح لا تكون داخلة في الإيمان، ويتبين من كل هذه الاستنتاجات أن فعل القلب هو التصديق¹⁷².

وأما المرجئة فلهم قاعدة يسرون عليها والتي تنص على أن لا تضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة، وعندهم أن صاحب الكبيرة من الذنوب والمعاصي تؤجل عقوبته إلى يوم الحساب، ولا يتم الحكم عليه في الدنيا، أن هو من أهل الجنة أو هو من أهل النار، إنهم كانوا يرون أرجاء الله سبحانه وتعالى ممكن العفو عن صاحب الكبيرة، وعندهم ما موجود من إيمان في القلب هو الأساس، وباقي الاعمال وإن كانت من الإيمان فإن ترك العمل فأمره إلى الله تعالى إن شاء عفى عنه وإن شاء عذبه، ويقولون بعدم الامكان في الجزم في الحالتين، وبعض المرجئة عندهم الإيمان هو معرفة الله تعالى، ومحبة لله بالقلب، والخضوع

¹⁶⁹ البقرة، 2/ 25.

¹⁷⁰ الحجرات، 9/ 15.

¹⁷¹ الأنعام، 6/ 82.

¹⁷² الإيجي، المواقف في علم الكلام، ص 376.

وعدم التكبر هذا هو الإيمان، وإن الأعمال ليس من الإيمان، وإذا ترك الأعمال لا تؤثر على حقيقة الإيمان، ومنهم من يقول أن الله تعالى يغفر ما دون الشرك ويجزمون في ذلك بم أوجبه الله تعالى في كتابه العزيز، وإن الذي يقع في الذنوب والمعاصي من الكبائر ويموت ولم يتوب فغنه لا يضره شيء من ذلك مع وجود الوحيد الذي عنده¹⁷³.

وإننا نرى ومن خلال كثير من الأدلة الشرعية التي تبين أن الإيمان هو كل الأعمال الصالحة من الفرائض والنوافل، ونستدل على ذلك بقول النبي (صلى الله عليه وسلم): «الإيمان بضعة وسبعون جزءاً أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إمطة الأذى عن الطريق»¹⁷⁴، وكذلك قوله (صلى الله عليه وسلم): «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»¹⁷⁵.

وكذلك أيضاً يتبين لنا أن الإيمان قسمين قسم مرتبط بالله تعالى وهو قديم، وقسم مرتبط بالإنسان وهو محدث، وأن الإيمان صفة مخلوقة في العبد، وأن الإيمان هو التصديق بالقلب بأن الله تعالى واحد، وأن محمد (صلى الله عليه وسلم) نبي الله تعالى، وأن الإيمان ليس في القلب فقط وإنما ما يجري على اللسان، وكذلك ما يبدر من العبد من الأعمال الصالحة، ويتبين أيضاً أن الإيمان خصلة من خصال الاسلام، كل إيمان اسلام، وليس كل اسلام إيمان.

¹⁷³ الشهرستاني، محمد عبد الكريم، الملل والنحل، تح: محمد سيد كيلاني، مطبعة الحلبي، مصر، 1387هـ، 1967م، 1/139-142.

¹⁷⁴ الهروي، أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله البغدادي، كتاب الإيمان "ومعالمه، وسننه، واستكمالها، ودرجاته، تح: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط: 2، 1403هـ، 1983م، ص15.

¹⁷⁵ عبد الله بن المبارك، أبو عبد الرحمن بن واضح الحنظلي، التركي ثم المروزي، الزهد والرقائق لابن المبارك، تح: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت، رقم الحديث 677، ص236.

3.3. الكفر عند القاضي الباقلاني

كلمة دار حولها الجدل كثيراً بعد تولي عثمان (رضي الله عنه) الخلافة وبعد مقتله، وهل قتلة عثمان كفر أم لا، إلى أن أصبحت هذه الكلمة شغل شاغل أكثر أهل الدين، بل كانت سبب في افتراق الأمة الإسلامية إلى فرق وإلى يومنا هذا.

وكما نعلم كلمة الكفر ليس بكلمة هينة أو سهلة، بهذه الكلمة إما يوضع الرجل في صف الإسلام أو خارج الإسلام، وإن هذه المسألة منأطة لأهل العلم فقط العلماء الربانيون.

ومن هذه الفرق التي كان لها رأي في هذه المسألة الأشاعرة، ومن علماء الأشاعرة القاضي الباقلاني (رحمه الله)، وعلماء آخرين كانت لهم اليد الطولى في هذه المسألة. الكفر هو تغطية قلب الإنسان عن معرفة الحق، وقال الشاعر في هذا المعنى: "في ليلة كفر النجوم غمامها"، أي أن النجوم غطيت بالغيوم، وكذلك أيضاً يسمى الذي يزرع الزرع كافراً؛ لأنه يغطي الزرع، وهذا من الناحية اللغوية، وأما من الناحية الشرعية فأن الكفر عند الباقلاني (رحمه الله) هو "ضد الإيمان وهو الجحد بالله عز وجل والتكذيب به"، والكفر يكون على أقسام، أما القسم الأول فهو كفر اعتقادي ومكانه القلب، ويكون عدم الاعتقاد بصفة من صفات الله تعالى، مثل عدم كونه قادراً أو سميعاً أو بصيراً¹⁷⁶.

أما القسم الآخر يكون كفر أفعال كرمي المصحف في الأماكن الغير طاهرة متعمداً، والقسم الآخر من أقسام الكفر هو كفر أقوال، وهذا من الأمور الكفرية الكثيرة جداً منها التعدي على الله تعالى بالكلام والتعدي على الرسول (صلى الله عليه وسلم) وعلى أي رسول من رسله

¹⁷⁶ الباقلاني، تمهيد الاوائل وتلخيص الدلائل، ص392.

أو على أي ملك من الملائكة بالكلام، فهذا كفر مخرج من الملة الإسلامية، أما القسم الآخر من أقسام الكفر هو كفر تكذيب، وهذا الكفر هو "تكذيب بما موجود في القرآن الكريم أو ما جاء به الرسول (صلى الله عليه وسلم) على وجه ثابت كاعتقاد فناء الجنة والنار، وأن النار آلام معنوية، أو إنكار بعث الأجساد والأرواح، أو إنكار وجوب الصلاة والزكاة"¹⁷⁷.

إنكار شيء من الدين مع وجود دليل شرعي على وجوده، ومع أنتشار هذا الشيء بين المسلمين، وهذا الأمر خلاف الإنسان الذي لا يصلي فإنه عاصي لأمر الله تعالى مع إنه يقر بوجوبها عليه، هذا لا يصبح كافراً حاله حال الذي ينكر فرضيتها عليه، أما القسم الآخر من أقسام الكفر هو ما يسمى كفر التعطيل، وهذا النوع من الكفر هو أخطر وأشد أنواع الكفر؛ لأنه يجحد وينفي وجود الله تعالى، وهذا لا يضاهيه أي نوع من أنواع الكفر وهذا هو فكر الشيوعية الهاوية. يوجد في الكفر اللفظي حالات لا يحاسب عليها العبد وإن نطق بها لسانه، وهذا يعني أن العبد إذا نطق بالسانه كلمة وهي من الكفر التي تخرج صاحبها من الإسلام، ونطقها لجريانها على لسانه ومن غير أن يكون قاصداً أن يتلفظ بها، وكذلك العبد إذا كان في حالة إغماء على عقله، ونطق بالكفر فلا إثم عليه، وكذلك العبد إذا نطق بالكفر رغماً عنه أي أجبر على النطق بالكفر فإنه لا حساب عليه¹⁷⁸.

ونستدل على ذلك بقصة الصحابي الجليل (عمار بن ياسر) عندما لاقى أشد أنواع التعذيب من كفار قريش فقالوا له لانطلق سراحك حتى تسب محمد (صلى الله عليه وسلم) فأجبر على سب النبي (صلى الله عليه وسلم) فلما جاء إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) فحدثه بما

¹⁷⁷ الباقلاني، تمهيد الاوائل وتلخيص الدلائل، ص393.

¹⁷⁸ الباقلاني، تمهيد الاوائل وتلخيص الدلائل، ص394.

جرى فقال له فأن عادوا فعد، أي إذا أجبروك على هذا الفعل فأفعل ولا تبالي فلا إثم عليك مادام القلب مطمئن بالإيمان.

وهناك أمور أخرى هي دالة على الكفر وإنما هي كفر، مثل عبادة النجوم وعبادة النار، وما شابه ذلك، وكل ما ورد به دليل من القرآن والسنة النبوية أو ما صح الإجماع عليه من العلماء أن هذا الأمر لا يكون إلا من كافر خارج ملة الإسلام، كافراً وجاحداً بالله تعالى¹⁷⁹.

إذن يتبين أن الكفر لا يطلق إلا على ما ورد به دليل من الشرع، وأمره خطير ولا كل شخص عنده من الدين شيء يدندن حوله، وإنما أمره متروك للعلماء الربانيين؛ لأن به تستحل الدماء والأعراض والأموال.

ولأبي حنيفة (رحمه الله) قول جميل في هذه المسألة يقول "لا تكفر أحداً بذنوب ولا ننفي أحداً من الإيمان"¹⁸⁰.

وكذلك لأبي الحسن الأشعري قول في هذه المسألة، الكفر هو تكذيب الله ورسوله (عليه السلام) فيما أخبروا به، وهذا الرأي كثير من العلماء يقولون به ومنهم ابن الراوندي والحسن بن الفضل البجلي¹⁸¹.

لا يمكن إطلاق كلمة الكفر على الإنسان الذي يرتكب الذنوب والمعاصي من الصغائر والكبائر وهو من ملة الإسلام، وإن صاحب هذه الذنوب سواء كانت هذه الذنوب على نفسه أو

¹⁷⁹ الباقلاني، تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، ص394.

¹⁸⁰ أبو منصور الماتريدي، كتاب شرح الفقه الأكبر، ص2.

¹⁸¹ أبو منصور البغدادي، عبد القاهر بن طاهر بن محمد التميمي البغدادي، أصول الدين، تح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:1، 1423هـ، 2002م، ص 273.

على غيره، لا يخرج من ملة الإسلام وإن مات قبل أن يتوب، وهو غير خالد في النار، وأن الله سبحانه وتعالى إن شاء عذبه لمدة معينة ثم يخرج من النار ويدخله الجنة، وإن شاء الله سبحانه وتعالى عفى عنه وأدخله الجنة بغير حساب، ويستثنى من هذه الذنوب والمعاصي الشرك والكفر، واستدلالاً على ذلك قول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾¹⁸²، ومعنى هذه الآية إن الكبائر هنا هو الكفر بالله تعالى، وكذلك بدليل قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾¹⁸³، ومن هذه الآيات يتبين أن كل الذنوب والمعاصي غير الشرك والكفر صاحبها غير خالد في النار، إن الله سبحانه وتعالى أن شاء عذبه حسب ذنبه ثم أخرجه من النار وأدخله الجنة، وإن شاء عفى عنه بدون عقاب¹⁸⁴.

إن مسألة الكفر من الأمور المختلف فيها بين الفقهاء والعلماء وبين الفرق، إن من هذه الفرق هي فرقة الخوارج، ورأيها يتضمن أن العبد إذا وقع في أي كبيرة من الكبائر؛ فإنه يصبح كافراً ويخرج من دائرة الإيمان، وأما فرقة المرجئة فهي أيضاً لها رأي آخر ومخالف للخوارج، ورأيها هو أن ارتكاب الذنوب الكبيرة ليس لها علاقة بالإيمان، ومقولتهم المشهورة "لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا ينفع مع الكفر طاعة"، وأما الفرق الأخرى مثل القدرية والمعتزلة فلها رأي مخالف لهذين السابقين، وهو أن العبد إذا ارتكب كبيرة من الكبائر فإنه يصبح خارج دائرة الإيمان ولا يكون كافراً، وإنما يكون بينهما أي بين الكفر والإيمان، وإن هذا العبد إذا توفاه الأجل على حاله هذا فإنه يكون كافراً وإنه مخلد في نار جهنم، وإن تاب إلى الله تعالى دخل دائرة

¹⁸² النساء، 4 / 31.

¹⁸³ النساء، 4 / 48.

¹⁸⁴ الباقلاني، تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، ص 404.

الإيمان، وقد استدلووا بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾¹⁸⁵ 41، وقالوا إن العبد إذا قضى عمره في عبادة الله سبحانه وتعالى وإذا ارتكب كبيرة من الكبائر ولم يتب عنها كان من الخالدين في نار جهنم، حال هذا الذي قضى عمره في العبادة حال المشركين والكفار، وقالوا إن سيئة واحدة من الكبائر تمحي الحسنات، وإنهم لم يقولوا الحسنات تذهب السيئة، وإن الله سبحانه وتعالى قال هذا بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾¹⁸⁶ 42، وقد استدلووا بآية القتل، فبين الله تعالى في هذه الآية أن القاتل خالد في نار جهنم، وأن الخلود في جهنم للكافر، وإن هذه الآية الكريمة لا تعني ما قالوه وإنما المقصود فيها هو القتل المتعمد استحلالاً له أي جعله حلال في الشرع، وهذا ما اتفق عليه أهل التفسير، وهذا ما قال به ترجمان القرآن ابن عباس (رضي الله عنه)، وإنما تدل هذه الآية على الفترة الطويلة، ولقد اتفق أهل اللغة على هذا؛ لأنه إذا طال حبس الرجل يقال له أخلد زيد في الحبس¹⁸⁷ . وكذلك عند الكلام مع الملوك والدعاء لهم يقال أخلد الله ملكك، ولم يردوهم عن هذا الدعاء لأنه لم يكن محالاً، وكذلك في آيات القصاص أثبت الله سبحانه وتعالى للقاتل أسم الأخ، أي أخوة الإسلام، ومن الأدلة على أن الإيمان لا يرفع بالكبيرة أي لا يكون صاحبها كافراً، قول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾¹⁸⁸، وإن الله سبحانه وتعالى أمرنا أن نتحرى جيداً نعرف الحقيقة من الفاسق في شهادته، ولو كان الفاسق كافراً فيجب أصلاً أن لا تقبل شهادته، ولكن هنا قبلت شهادته؛ إذن هو ليس بكافر، وكذلك قصة الرجل الذي جاء إلى النبي

99 النساء، 4/ 94.

¹⁸⁶ هود، 11/ 114.

¹⁸⁷ أبو منصور الماتريدي، شرح الفقه الأكبر، ص2.

¹⁸⁸ الحجرات، 49/ 6.

(صلى الله عليه وسلم) فأقر بالزنى، لم يأمر النبي (صلى الله عليه وسلم) بقتله ولم يسترجعه إلى الإسلام¹⁸⁹.

وقد اتفق العلماء على أن الفاسق تقبل عباداته، من صلاة وحج وصيام وجميع العبادات، وكذلك في زمن القرون الثلاثة الأولى الخيرية كان ينفق عليهم من مال المسلمين حالهم حال المسلمين الباقين لا يفرقون بينهم، وكذلك في مسألة توزيع المغنم من الحروب يحصلون منها كالمؤمنين الآخرين، وهناك مسائل أخرى تبين أنهم لم يدخلوا دائرة الكفر منها، إذا مات أحداً منهم صلوا عليه، وكذلك يدفن في مقابر المسلمين، وكذلك يدعون لهم بالاستغفار والعفو من الله تعالى¹⁹⁰.

هناك مسألة مهمة وهي أن صاحب الكبيرة هل يسمى مؤمن، إن صاحب الكبيرة الذي يصلي، إنه مؤمن وذلك لأنه لا يخلو من الإيمان مع وجود الفسق والمعاصي فيه، أما بالنسبة للكافر فإن الله سبحانه وتعالى لا يغفر له ذنبه إذا مات على كفره، وذلك استدلالاً بقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾¹⁹¹، وكذلك قول النبي محمد (صلى الله عليه وسلم): «شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكِبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي»¹⁹²، ويتبين من هذا الحديث أن أهل الكبائر ليس بكفار؛ وذلك لأن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال من أمتي، وكذلك الشفاعة هي محرمة على الكفار، وكذلك الحجة الاخرى هي أن ما يوجد في الجوارح لا يمكن أن ينفي ما يوجد في القلب، وذلك بأن الذي يريد أن يرتكب معصية

¹⁸⁹ أبو منصور الماتريدي، شرح الفقه الأكبر، ص3.

¹⁹⁰ الجويني، العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية، ص86، 87.

¹⁹¹ محمد، 47/ 34.

¹⁹² الطيالسي، مسند أبي داود الطيالسي، رقم الحديث 1774، 250/3.

لله لا ينفي تصديقه وعلمه بالله سبحانه وتعالى، ومن المعلوم أن التصديق هو الإيمان، فجاز وجود الفسق من الذنوب والتي لا تكون كفر مخرج من الملة مع الإيمان، "وأنهما غير متضادين"، وبما أنه علم أن الفاسق وجد عنده إيمان؛ إذن يجب أن يسمى مؤمناً، وهذا عند أهل اللغة أيضاً حيث أنهم يسمون الإنسان مؤمن بما فيه من إيمان مع وجود الذنوب والمعاصي فيه¹⁹³.

وإن العبد الذي يكون فيه من الإيمان وفيه من الفسق الذي لا يصل إلى مرتبة الكفر لا يكون بينهما تضاد، لأن التضاد يكون بين الإيمان والكفر، وأما من الناحية اللغوية فقد اتفق أهل اللغة على أن من الممكن وجود صفتين متضادتين وإمكان اشتقاق الأسماء منهما¹⁹⁴.

وللخوارج قول يختلف في هذا، حيث يحكمون عليه بالكفر إذا ارتكب معصية من الكبائر، وأما للمعتزلة فقول يخالف الأثنين، أي إن صاحب الكبيرة لا كافر ولا مؤمن، والقول الفصل هو حكم الله سبحانه وتعالى في هذه المسألة هو الكلام القاطع والحكم الجازم، وذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾¹⁹⁵، بين الله تعالى أن كل الذنوب إذا العبد ارتكبها يغفرها بمشيئته، واستثنى من هذه الذنوب هو الشرك، أي لا يغفر لصاحبه قطعاً، أي خالد في النار، أما باقي الذنوب وتشمل كل الذنوب ومنها الكبائر، فأن الله سبحانه وتعالى إن شاء غفر لصاحبها أو شفع شافع لها أو إن شاء الله يعذب صاحب الذنب مدة محددة ثم يخرجها إلى الجنة بأذنه تعالى، ولا يكون خالد في النار¹⁹⁶، واستدللاً على هذا

¹⁹³ الباقلاني، تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، ص 94.

¹⁹⁴ الباقلاني، تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، ص 94.

¹⁹⁵ النساء، 4 / 48.

¹⁹⁶ الجويني، العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية، ص 88.

بقول النبي محمد (صلى الله عليه وسلم): «لا يدخل النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان»¹⁹⁷.

وإن قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾¹⁹⁸، وهذا القول يعني أن الشفاعة لا تتم إلا برضاء الله تعالى على ذلك الشخص أن يشفعوا له، ولم يرد فيها لا تتم الشفاعة إلا إذا رضي عمله، وإذا تم رضى وقبول عمله فإنه لا يحتاج إلى الشفاعة، وكذلك يوجد احتمال آخر في معنى الرضى، أي رضى العمل الذي عمله، فتتم بعد ذلك الشفاعة، أي بمعنى " لا يشفعون إلا لمن معه عمل مرتضى"، ومن المعلوم أن الفاسق لا بد أن يكون معه عمل صالح أي عمل مرتضى، وأما قول الله سبحانه وتعالى: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾¹⁹⁹، فهذه الآية تعني الشرك والكفر هما من الظلم ولا شفاعة لهما²⁰⁰، وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾²⁰¹.

يتبين أن كل هذه الآيات التي ذكرت وآيات أخر وبنفس المعنى والدلالة، مثل قول الله سبحانه وتعالى: ﴿لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾²⁰²، وكذلك قوله تعالى ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ﴾²⁰³، تدل على أصحاب الشرك والتكذيب والألحاد، وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَمَا

¹⁹⁷ اللالكائي، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، رقم الحديث 1610، 696/5

¹⁹⁸ الأنبياء، 28/21.

¹⁹⁹ غافر، 18/40.

²⁰⁰ الباقلاني، تمهيد الاوائل وتلخيص الدلائل، ص 423، 424.

²⁰¹ لقمان، 13/31.

²⁰² الزخرف، 75/43.

²⁰³ البقرة، 86/2.

تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٢٠٤﴾، وهؤلاء لا يمكن الشفاعة لهم²⁰⁵ 56، وإن الله تعالى بينهم فقال إنهم قالوا: ﴿لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَحُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٥٧﴾²⁰⁶، وقد روى أبو الدرداء عن النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: «من قال لا إله إلا الله دخل الجنة 58، قال فقلت يا رسول الله وإن زنى وإن سرق، حتى قال: نعم، وإن رغم أنف أبو الدرداء»²⁰⁷.

ومن الأدلة التي يستدل بها على جواز القول العفو والغفران لأصحاب الذنوب من أهل الملة، ما ورد من أحاديث الشفاعة، وخاصة في شفاعة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) في أصحاب الكبائر²⁰⁸.

وقوله (صلى الله عليه وسلم): «ادخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»²⁰⁹، وكذلك حديث الشفاعة المعروف عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: «إذا كان يوم القيامة، ماج الناس بعضهم في بعضهم، فيؤتى آدم فيقال له : يا آدم اشفع في ذريتك، فيقول: لست لها، ولكن عليكم بإبراهيم، فإنه خليل الرحمن، فيؤتى إبراهيم فيقال له مثل ذلك فيقول: لست لها، ولكن عليكم بموسى، فإنه كلیم الرحمن، فيؤتى

²⁰⁴ المدثر، 74 / 48.

²⁰⁵ الباقلاني، تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، ص 424.

²⁰⁶ المدثر، 74 / 43، 44، 45.

²⁰⁷ ابن خزيمة، أبو بكر محمد بن إسحاق بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري، كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل، تح: عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، مكتبة الرشد، الرياض، ط: 5، 1414هـ، 1994م، 814/2.

²⁰⁸ الباقلاني، تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، ص 417، 422.

²⁰⁹ الموصلي، أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، المعجم، تح: إرشاد الحق الأثري، إدارة العلوم الأثرية، فيصل آباد، ط: 1، 1407هـ، رقم الحديث 198، ص 172.

موسى فيقول : لست لها، ولكن عليكم بعيسى، فإنه روح الله وكلمته، فيؤتى عيسى، فيقول : لست لها، ولكن عليكم بمحمد فأؤتى، فأقول أنا لها، فأنتلق فاستأذن على ربي فيؤذن لي عليه، فأقوم بين يديه، فيلهمني محامده فأحمده بتلك المحامد، ثم آخر ساجداً فيقال لي : يا محمد ارفع رأسك وقل تسمع وسل تعطى واشفع تشفع، فأقول : يا رب أمتي أمتي فيقال لي انطلق، فمن كان في قلبه إما قال مثقال ذرة أو مثقال شعيرة من إيمان، فأخرجه منها، قال : فأخرجه ثم أعود فأحمده بتلك المحامد وأخر ساجداً، فيقال لي: يا محمد ارفع رأسك وقل تسمع وسل تعطى واشفع تشفع، فأقول: يا رب أمتي أمتي، فيقال لي : انطلق، فمن كان في قلبه مثقال خردلة من إيمان فأخرجه منها، قال : فأنتلق فأفعل ذلك، ثم أحمده بتلك المحامد، ثم اخرو ساجداً، فيقال لي : يا محمد ارفع رأسك وقل تسمع وسل تعطى واشفع تشفع، فأقول : يا رب أمتي أمتي، فيقال: انطلق، فمن كان في قلبه أدنى من مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه من النار»²¹⁰ إن أصحاب العقول السليمة ودين الحق يثبتون الشفاعة، إن الذي يعتقد أن الله سبحانه وتعالى يفعل ما يريد، ولا يقول يجب على الله أن يفعل كذا وكذا، من عقاب أو ثواب، وهذا يوجب على العبد أن لا ينكر العفو والغفران، إن المشبه الذين يشبهون أفعال الله تبارك وتعالى بأفعال عباده، ولو نزلنا إلى قولهم جدلاً، فمن المعلوم أن صفات الصفح والعفو عن المذنبين من الأخلاق الكريمة، وهذه تكون عند القدرة، ومن صفات الله تبارك وتعالى العفو والكرم؛ إذن بعفوه وكرمه يأذن بالشفاعة، وإن الشفاعة لا تكون لشخص معين وإنما هي لله الواحد الغفار، قول الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾²¹¹، وإن الله سبحانه وتعالى عندما يأمر بالشفاعة فإنه يكرم

²¹⁰ الموصلي، مسند أبي يعلى، تح: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، ط: 1، 1404، 1984،

رقم الحديث 4350، 311/7.

²¹¹ الزمر، 39/44.

الشافع، وإن البشرية جميعاً أعظمهم جاهاً ومنزلتاً هو نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم)، وبما أنه ثبت وقوع الشفاعة؛ إذن يثبت غفران الذنوب²¹².

وهناك مسألة مهمة لابد أن نتطرق لها وهي أن العفو والصفح بعد الوعيد لا يعتبر صفة ذميمة ولا يعتبر خبر كاذب، وهذا أمر متفق عليه بين أهل اللغة ولا خلاف فيه، إن الله سبحانه وتعالى أمرنا بالعفو عن المذنب، وكذلك مدح من يتصف بهذه الصفة الحميدة، ورأي العلماء مجمع على أن الله سبحانه وتعالى أي شيء يأمر به ويمدح فاعله ليس بسوء ولا قبيح؛ إذن العفو والصفح يحسن من الله؛ لأنه أمر به ومدح فاعله، قال الله تعالى ﴿وَالْكَافِرِينَ الْغَيْظُ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾²¹³، ويتبين من هذه الأدلة أن نقول جواز العفو من الله سبحانه وتعالى عن كل المذنبين إلا إذا ورد دليل يوجب أن يعاقب بعض أصحاب الذنوب²¹⁴.

ومن الذنوب لابد أن يعاقب صاحبها ولا تكون مشمولة في العفو والصفح، ومن هذه الذنوب هي الشرك والكفر المخرج من الملة، وذلك بدليل قول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾²¹⁵، وأما الذنوب غير الشرك والكفر المخرج من الملة فجواز القول بأن الله إن شاء عفى عنه، وذلك من الأدلة الواردة من القرآن الكريم والسنة النبوية، وكذلك جوازه عقلاً، ومن الفرق المخالفة لهذا الرأي هم المعتزلة وقولهم هو أن من الناحية الشرعية لا يجوز العفو

²¹² الجويني، العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية، ص 81.

²¹³ آل عمران، 3/ 134.

²¹⁴ الباقلاني، تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، ط/ 1، ص 399.

²¹⁵ النساء، 4/ 48.

والصفح من الله سبحانه وتعالى عن المذنبين أي أصحاب الكبائر، ولكن يجوز عقلاً العفو والصفح عنهم، وكذلك يقولون أن الفاسق يكون عذابه مؤبد²¹⁶.

ومن أهل العلم من ينسب هذا الرأي إلى الشافعي (رحمه الله)، وهذا افتراء عليه، والشافعي يقول في معنى قول الله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾، وهذا يكون إذا لم توجد التوبة، وكذلك قوله في قول الله سبحانه وتعالى ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ وهذا يكون إذا لم توجد التوبة، وهذا يفيد التمييز والتفريق بين الشرك والذنوب الأخرى، فيستنتج من هذا إن الله سبحانه وتعالى لا يغفر الشرك، وأما باقي المعاصي والتي هي غير الشرك والكفر المخرج من الملة فجواز غفرانه لهذه المعاصي، قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾²¹⁷، وكذلك قول النبي محمد (صلى الله عليه وسلم): «أتاني جبريل فقال : من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة قلت وإن زنا وإن سرق قال وإن زنا وإن سرق»²¹⁸، وقد يتبين من هذه المسألة بعد أخذها من كل جوانبها أن الأعمال الصالحة التي يقوم بها العبد وما عنده من إيمان هو فضل من الله سبحانه وتعالى يتفضل به على عبده في الدنيا وبعد ذلك يجزيه الحسنات في الآخرة، ويتبين من هذا أيضاً أن هذه الأعمال الصالحة من الناحية العقلية لا توجب الثواب، وإنما هي دلالة على السعادة، وكذلك فإن الذنوب والمعاصي من الناحية العقلية لا توجب العقاب²¹⁹، وهذا ما موجود في حديث النبي محمد (صلى الله عليه

²¹⁶ الباقلاني، تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، ص 402.

²¹⁷ الشورى، 42/ 25.

²¹⁸ البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُو جَرْدِي الخراساني، السنن الكبرى، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، لبنان، ط: 3، 1424 هـ، 2003 م، رقم الحديث 20770، 319/10.

²¹⁹ الباقلاني، تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، ص 400.

وسلم) قال: «إن الله لو عذب أهل أرضه وسماواته لعذبهم وهو غير ظالم لهم ولو رحمهم كانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم»²²⁰.

إننا نرى أن الثواب على الأعمال الصالحة هي رحمة من الله سبحانه وتعالى، ولا نقول بوجوبها على الله تعالى، ولكن الله سبحانه وتعالى أوجبها على نفسه، وكذلك لا نقول بوجوب عقاب العاصي المذنب إلا بما أوجبه الله سبحانه وتعالى على نفسه.

وأما من الحجج التي يحتجون بها المخالفين لهذا الرأي هو قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾²²¹، ولكن هذه الحجة ضعيفة وهادية؛ لأن معنى هذه الآية هو أن المذنب الكافر الذي ليس عنده إيمان، وكذلك أن الله سبحانه وتعالى بين في مواضع آخر أن الأعمال الصالحة تمحو السيئات، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾²²²، ولا يوجد في الأعمال الصالحة من تتقدم على الإيمان في المنزلة، حيث إنها تبطل الكفر وترفع عقابه²²³.

وإن من الآراء من يحتج ويقول أن الفاسق يجب أن عداوته وأن الله سبحانه وتعالى لعنه وأمرنا أن نبغضه ونتبرأ منه، وهذا الرأي يستدل بقوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾²²⁴، لا يمكن أن نقول أن الفاسق مطرود من رحمة الله؛ لأن اللعنة طرد من رحمة الله

²²⁰ ابن عساكر، ثقة الدين، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله، معجم الشيوخ، تح: الدكتور وفاء نقي الدين، دار البشائر، دمشق، ط: 1، 1421هـ، 2000م، رقم الحديث 848، 682/2.

²²¹ الجن، 72 / 23.

²²² هود، 11 / 114.

²²³ الباقلاني، تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، ص 405.

²²⁴ المائدة، 5 / 38.

تعالى، ولا عدو الله، ومن الأدلة على أن الفاسق يستحق الثواب على الطاعات التي يقوم بها، وكذلك ثبت أيضاً أن النبي (صلى الله عليه وسلم) يشفع له وكذلك كل الذين يمكن أن يشفعوا له من الشهداء وغيرهم، وهذه الكلمة أي كلمة اللعن تطلق على من كان كافراً قلبه ولسانه وجوارحه، وإن الله سبحانه وتعالى يعلم أنه سوف يغفر للعاصي المذنب ويشفع فيه، ولا يمكن أن يكون ملعون وعدو عند الله سبحانه وتعالى، وإذا أراد الله تعالى أن يعاقبه على ذنب ارتكبه فهذه هي عداوة الله له، ومن جانب آخر فإن الله تعالى ولي له بما فيه من إيمان، وليس من الغرابة ولا المستحيل على الله سبحانه وتعالى أن يعاقب العاصي المذنب على ذنبه من جهة، ويشبهه على عمله الصالح من جهة أخرى، وإذا أخذنا ما يقوم به الإنسان عندما يقوم ولده بذنب أو معصية فإنه يحاسبه ويعاقبه على ذلك الذنب، ولكن عندما هذا الولد يقوم بأعمال صالحة طيبة فإنه يكافئه على ذلك العمل، ومن هذا يتبين أن عداوة الله تعالى للإنسان على ذنبه وفي نفس الشخص ولايته على إيمانه، ولا يمكن أن يكون العداوة والولاية لشخص واحد في عمل واحد، وإن صاحب الذنب والمعصية وإن كانت معصيته من الكبائر لا يمكن أن يكون معادياً لله؛ إذا كان يعترف بوجود الله سبحانه وتعالى ويؤمن به، ومن المعلوم أن الكفر بالله تعالى هو العداوة لله سبحانه وتعالى، وبما أن صاحب المعصية الكبيرة يورث ويناكح ويدفن في مقابر المسلمين، وبما أنه يستحق هذه المستحقات؛ فإنه يستحق الثواب²²⁵.

وهناك آراء مخالفة في مسألة الشفاعة، من الفرق تتكرر أمر الشفاعة، ومن هذه الفرق المعتزلة ورأيها لا يوجد شفاعة يوم القيامة، وهذه المسألة مرتبطة بالنقل من الكتاب والسنة، وأول من يشفع نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم)، ثم الملائكة والأنبياء والشهداء والصالحين،

²²⁵ الباقلاني، تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، ص 410، 412.

ومن الحجج التي احتج بها أصحاب الرأي المخالف، بحديث النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: «من قتل نفسه بحديدة فإنه يجأ بها بطنه في النار خالداً مخلداً فيها»²²⁶، وحجتهم إنه خالد في نار جهنم، ولو وجدت الشفاعة لكانت تشملها، وهذا مخالف لمعنى الآية الكريمة؛ لأنه إذا كان يحل قتل النفس فيصبح كافر خالد في نار جهنم²²⁷.

إننا نرى أن ومن الأدلة الشرعية من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وإن أصحاب الذنوب والمعاصي سواء كانت كبائر الذنوب أو صغائرها لا يكون صاحبها من الخالدين في النار، وإنما الخلود في نار جهنم للمشركين والملحدين والكفار، وإن الله سبحانه وتعالى أن شاء عذبه لمدة معينة، ثم عفى عنه وأخرجه من النار وأدخله الجنة، أو عفى عنه من غير أن يعذبه في النار، وإن العبد لا يكفر بذنب من الذنوب أو بمعصية، إلا بما ذكرناه من الكفر والأشراك، وإن العفو والصفح صفة من صفات الله تعالى، وهذا يكون لأصحاب الذنوب والمعاصي وإن كانت من الكبائر إلا الكفر والشرك، وكذلك شفاعة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) تشمل أصحاب الذنوب والمعاصي من أهل الكبائر، وكل هذا هو ما عليه القاضي الباقلاني وهذا ما نحن نراه ونعتقده.

²²⁶ الأزدي، معمر بن أبي عمرو راشد مولاها، أبو عروة البصري، نزيل اليمن، الجامع، تح: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: المجلس العلمي بباكستان، وتوزيع المكتب الإسلامي ببيروت، ط: 2، 1403هـ، رقم الحديث 19716، 463/10.

²²⁷ الزاغوني، الإيضاح في أصول الدين، ص 567.

4.3. زيادة الإيمان ونقصانه عند القاضي الباقلاني

إن مسألة زيادة الإيمان ونقصانه اختلفت بها الفرق الدينية، وكذلك اختلف فيها آراء العلماء، وكل هذه الاختلافات تستدل بآيات من القرآن الكريم وبأحاديث النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)؛ ولكن الاختلاف في فهم هذه الآيات والأحاديث.

زيادة الإيمان ونقصانه يثبت ويدل عليه ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وبما أنه الإيمان يتكون من التصديق في القلب ونطق في اللسان وعمل بالجوارح؛ فلا بد أن تكون الزيادة أو النقصان في ما يتكون منه الإيمان أو بعض منه، وهذه الزيادة والنقصان لها حالتان، فأما الحالة الأولى هي الزيادة والنقصان يكون في القول والعمل ولا يكون في التصديق؛ لأن الأعمال والأقوال ممكن تزداد وتنقص مع بقاء التصديق²²⁸.

ومع هذا فإن الإيمان باقي ويسمى مؤمناً، وأما بالنسبة للتصديق فإنه ثابت ولا يزيد ولا ينقص، وإن العبد إذا كان مصداقاً بجميع ما جاء به النبي (صلى الله عليه وسلم) حتى إذا قصر بجانب من جوانب العبادات من زكاة أو صلاة أو حج أو أي عبادة من العبادات؛ فإنه يبقى مؤمناً ولا يمكن أن يسمى كافراً مع وجود التصديق، وعكس هذا هو إن العبد إذا قام بجميع العبادات وصدق بجميع ما جاء به النبي (صلى الله عليه وسلم) ولم يصدق بواحدة مما جاء به الرسول الكريم فإن إيمانه زائل ويوصف بالكفر، ولهذا يتبين أن التصديق ثابت لا يتغير بزيادة ولا نقصان، وإنما هو ثابت، وأما بالنسبة للأقوال والأفعال فإنها متغيرة بزيادة أو نقصان، وهذا هو زيادة الإيمان ونقصانه، ومن الأدلة التي يستدل بها على زيادة الإيمان ونقصانه من أحاديث النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) على أن الزيادة والنقصان لا تكون بالتصديق، وإنما تكون في

²²⁸ الباقلاني، الإنصاف فيما يجب اعتقاده وما لا يجوز الجهل به، ص54.

الأقوال والأعمال هو قوله (صلى الله عليه وسلم): «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، من لا يأمن جاره بوائقه»²²⁹، هذه الأحاديث تدل على الأعمال وهي الحب و الاذى، ولا يوجد فيها التصديق²³⁰.

أما الحالة الثانية، هي الزيادة والنقصان في الإيمان يكون على التصديق والقول والعمل، وهذا يكون الزيادة والنقصان في العقوبة والحسنات، من غير زيادة ونقص في تصديق، ويستند على هذا من قول الله سبحانه وتعالى ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتِلٌ أُولَئِكَ أَكْبَرُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتِلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾²³¹، " ولم يرد أن تصديق من آمن قبل الفتح يزيد على تصديق من آمن بعد الفتح؛ لأن كل واحد منهما من حيث الصورة مصدق بجميع ما جاء به الرسول عليه السلام، لكن تصديق أولئك أكمل في الحكم والثواب، والدرجة؛ لأن هذا يصدق بشيء لا يصدق به الآخر"²³²، وكذلك يستدل على هذا من السنة النبوية المطهرة من قوله (صلى الله عليه وسلم) : « لا تسبوا أصحابي، فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»²³³.

والكل يعلم أن الصحابة ليس لهم المال الكثير مثل أحد، الصحابة رضي الله عنهم إيمانهم في الحكم أكثر، وكذلك نفقتهم في الحكم والثواب أكثر من غيرهم، ومن المعلوم أن الصلاة في مكة بمئة ألف صلاة، والصلاة في مسجد رسول الله بألف صلاة، والصلاة في

²²⁹ الطيالسي، مسند أبي داود الطيالسي، رقم الحديث 1437، 2/676.

²³⁰ الباقلاني، الأنصاف فيما يجب اعتقاده وما لا يجوز الجهل به، ص 54.

²³¹ الحديد، 10/57.

²³² الباقلاني، الأنصاف فيما يجب اعتقاده وما لا يجوز الجهل به، ص 55.

²³³ الجوهري، علي بن الجعد بن عبيد البغدادى، مسند ابن الجعد، تح: عامر أحمد حيدر، مؤسسة نادر، بيروت، ط: 1، 1410، 1990، رقم الحديث 2460، ص 356.

المساجد الأخرى بسبع وعشرون صلاة ولكن لا يقال للرجل الذي صلى في مكة مثلاً صلاة الظهر إنه صلى أكثر من الرجل الذي صلى في مسجد الرسول صلاة الظهر، وإنما يقال الذي صلى في مكة أكثر في الأجر والثواب من الذي صلى في مسجد الرسول²³⁴.

ويلحظ أن آراء الفرق والعلماء في هذه المسألة مرتبطة بالأعمال، فأن الرأي الذي يقول أن الأعمال هي من ضمن الإيمان، والإيمان هو الأعمال، فهذا يكون ممن يؤيد زيادة الإيمان ونقصانه، وأما الرأي الذي يقول أن الإيمان هو الإقرار، فهذا يكون ممن ينفي زيادة الإيمان ونقصانه، وهناك رأي آخر وهذا الرأي لمن يقول أن الإيمان هو التصديق بالقلب، ورأيهم أن الإيمان لا ينقص، أما في الزيادة فقد اختلفوا إلى رأيين، رأي يقول يمكن الزيادة في الإيمان، ورأي يقول لا يمكن الزيادة في الإيمان²³⁵.

إن الرأي الذي يقول بزيادة الإيمان ونقصانه يستدل على ذلك بأدلة عقلية وأدلة نقلية، فأما الأدلة العقلية هي أنه إذا كان لا يوجد زيادة ولا نقص في الإيمان ولا اختلاف، لتساوى الإيمان بين الجميع، أي إن العبد الذي مغمور في معاصيه لا يختلف عن الأنبياء والملائكة في التصديق، وهذا محال جزماً²³⁶.

وهناك أدلة نقلية يستدل بها على الزيادة والنقصان في الإيمان، ومن هذه الأدلة «عن ابن عمر (رضي الله عنهما) قلنا يا رسول الله، إن الإيمان هل يزيد وينقص؟ قال نعم يزيد

²³⁴ الباقلاني، الإنصاف فيما يجب اعتقاده وما لا يجوز الجهل به، ص55.

²³⁵ أبو منصور البغدادي، أصول الدين، ص77، 78.

²³⁶ التفتزاني، مسعود بن عمر بن عبد الله الشهير سعيد الدين التفتزاني، شرح المقاصد، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:1، 1422هـ، 2001م، ص448.

حتى يدخل صاحبه الجنة، وينقص حتى يدخل صاحبه النار»²³⁷، وكذلك عن عمر (رضي الله عنه) قال النبي (صلى الله عليه وسلم) : «لو وزن إيمان أبي بكر لرجح بهم»²³⁸، وهناك أدلة استدلت بها في الزيادة في الإيمان من القرآن الكريم، قول الله سبحانه وتعالى : ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا﴾²³⁹، وكذلك قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾²⁴⁰، وقول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَرَزَدَتْهُمْ إِيمَانًا﴾²⁴¹، وقوله تعالى: ﴿لِيَزِدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾²⁴²، وقوله تعالى: ﴿لِيَسْتَتِينَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزِدَّ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾²⁴³، ويستدل من هذه الآيات ليس فقط الزيادة، وإنما النقصان أيضاً؛ لأن الذي يزداد إيمانه كان قبل الزيادة أنقص؛ الزيادة والنقصان يستدل من هذه الآيات²⁴⁴.

هناك علماء أجلاء رأيهم أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، وهناك فرق أيضاً رأيها كذلك، وإن سبب الاختلاف بين آراء العلماء هو في اختلافهم في فهم معنى الإيمان.

²³⁷ السفيري، شمس الدين محمد بن عمر بن أحمد الشافعي، المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية صلى الله عليه وسلم من صحيح الإمام البخاري، تح: أحمد فتحي عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1425هـ، 2004م، 295/1.

²³⁸ ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن هلال بن أسد الشيباني، فضائل الصحابة، تح: وصي الله محمد عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: 1، 1403، 1983، رقم الحديث 653، 418/1.

²³⁹ آل عمران، 73/3.

²⁴⁰ الانفال، 2/8.

²⁴¹ التوبة، 9/124.

²⁴² الفتح، 4/48.

²⁴³ المدثر، 31/74.

²⁴⁴ أبو منصور البغدادي، أصول الدين، ص 278.

ومن الآراء التي تنفي الزيادة والنقصان في الإيمان هو رأي أبي حنيفة رحمه الله تعالى، أن الذي يقول بعدم الزيادة والنقصان يرون أن الإيمان أسم للتصديق وليس أسم للأعمال، أسم للتصديق يعني أن الإيمان مرتبط بالتصديق إما يجزم بالأمر وإما لا، وهذا لا يمكن فيه زيادة أو نقص وإنما هو ثابت، وليس مرتبط بالأعمال، "والمصدق إذا هم بالطاعة إليه أو ارتكب المعصية، فتصديقه بحله لم يتغير أصلاً"²⁴⁵.

يزداد الإيمان وينقص إذا كان الإيمان أسم للأعمال؛ لأنه مرتبط بالأعمال فمتى زادة الأعمال زاد الإيمان ومتى نقصت الأعمال نقص الإيمان، ويتبين أن الخلاف هو في فهم معنى وتفسير الإيمان،

ويمكن تفسير الزيادة والنقصان من عدة وجوه:

الوجه الأول: بما أنه الإيمان هو التصديق فإن الزيادة والنقصان متعلقة بحسب الاستمرارية وكثرة الوقت والثبات عليه، وإن النبي (صلى الله عليه وسلم) تميّز عن باقي المسلمين في هذا بدوامه على التصديق؛ إذن إيمانه كثير ولا يكون مثل غيره، والوجه الثاني: "أن المراد الزيادة بحسب زيادة المؤمن به، والصحابة كانوا امنوا في الجملة، وكان يأتي فرض بعد فرض، وكانوا يؤمنون بكل فرض خاص" ومعنى هذا أن الدين يجب أن تؤمن به بالكلية، وهناك أمور من الدين يجب أن نعلمها بالتفصيل، أي أن لها فروع وجوانب فيجب العلم بها بالتفصيل، ومن هنا يظهر التفاوت في بين الناس في الأمور التفصيلية فبعض الناس أكثر من غيرهم في هذه الأمور، فيكونون أكثر إيماناً من غيرهم، وهذا في كل عهد وفي كل مكان موجود

²⁴⁵ أبو منصور البغدادي، أصول الدين، ص 278.

هذا الفارق بين الناس، والوجه الثالث: هو أن زيادة الإيمان تكون في نتائجه، وكذلك تكون في زيادة فيما يدخل في قلبه من تصديق ونور، وهذا مما يؤدي إلى زيادة في الطاعات ونقص في المعاصي²⁴⁶.

إننا نرى أن الإيمان يزيد وينقص ولا يمكن أن يكون متساوي بين المسلمين وذلك لوجود أدلة من القرآن الكريم ومن السنة النبوية المطهرة، وبما أن الإيمان يتكون من اعتقاد وقول وعمل؛ فإن الزيادة والنقصان تكون في مكونات الإيمان أو بعض هذه المكونات، أما بالنسبة لموضع الزيادة والنقصان فيكون في الأقوال والأفعال، ويكون واضحاً أكثر في الأفعال، وكذلك ما نراه في الأدلة العقلية من الحجج القوية لتدعيم وتقوية الرأي الذي يقول بزيادة الإيمان ونقصانه، والذي يقول فيه إذا لا يوجد زيادة ولا نقص في الإيمان لتساوي الإيمان بين الجميع، وهذا يعني أن الإنسان الذي يرتكب المعاصي والذنوب لا يختلف عن الأنبياء والملائكة في الإيمان، وهذا من المحال ولا يصدق العقل إطلاقاً.

5.3. الاستثناء عند القاضي الباقلاني

الاستثناء في الإيمان عند القاضي الباقلاني، وهذه الكلمة أي كلمة الاستثناء تعني أن الإنسان إذا سؤل هل أنت مؤمن؟، لا يمكن له أن يثبت الإيمان لنفسه، ولكن يجب عليه أن يربطه بالمشيئة لله سبحانه وتعالى، ويقول أنا مؤمن إن شاء الله تعالى، ويكون هذا في أحكام المستقبل، أما في الماضي فلا يمكن هذا؛ لأنه يتبين أنه شاك في إيمانه في الماضي، ومما يتبين أن الاستثناء يكون في المستقبل، ولا يكون في الماضي والحاضر، ومن الأدلة على ذلك

²⁴⁶ التفتراني، شرح المقاصد، ص 449.

قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِّشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ﴿23﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾²⁴⁷، ومما يعلم أن الله سبحانه وتعالى له المشيئة في كل شيء، وسبب وجود المخلوقات ووقوع الاحداث هو مشيئة الله تعالى، ولا يمكن أن نجزم بشيء في المستقبل ولا نستثني في الماضي والحال²⁴⁸. أما القاضي عبدالجبار لم أجد له قولاً في مسألة الاستثناء في الإيمان في مؤلفاته.

إن الاستثناء في الإيمان ومفهومه عند الصحابة (رضي الله عنهم) هو يكون في الاعمال، ولا يستثنون في الأقوال والتصديق في القلب، ولذلك الناس بشكل مجمل وعلى الظاهر هم مؤمنون، ولهذا وبما انهم مؤمنون فأنهم يتناكحون ويتوارثون، وتطبق عليهم احكام الاسلام الأخرى، ومن الالفاظ التي من الدين ولا اثم على من يتلفظ بها هي الاستثناء في الإيمان، وإن هذا الاستثناء لا يكون من جهة الشك في الإيمان، ولذلك كانوا يتعوذون من الشك في الإيمان، ولذلك إذا سأل أحداً منهم هل انت مؤمن؟ كان الجواب على ذلك أنا مؤمن بالله تعالى ومؤمن بالملائكة ومؤمن بالكتب ومؤمن بالرسل ومؤمن باليوم الآخر، وهذا الاستثناء كان عليه ابن مسعود (رحمه الله) واصحابه، وكان عليه الثوري، وكذلك عليه غالبية علماء الكوفة، وعلماء البصرة، وعلى هذا الاستثناء الإمام أحمد بن حنبل، والكثير من العلماء يقولون في الاستثناء²⁴⁹ وقال الإمام أحمد بن حنبل: "سمعت يحيى بن سعيد يقول: ما ادركت أحداً إلا على الاستثناء"²⁵⁰، إن الذي يقول أنا مؤمن إن شاء الله ليس هو شاك في إيمانه، استدلالاً

²⁴⁷ الكهف، 18/ 23-24.

²⁴⁸ الباقلاني، الإنصاف فيما يجب اعتقاده وما لا يجوز الجهل به، ص 57.

²⁴⁹ أحمد الغامدي، الإيمان بين السلف والمتكلمين، ص 68.

²⁵⁰ أحمد الغامدي، الإيمان بين السلف والمتكلمين، ص 68.

بقوله تعالى (لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله امنين)²⁵¹ ، هو يعلم أنهم سيدخلون، وكذلك قول النبي (صلى الله عليه وسلم): (إنا إن شاء الله بكم لاحقون)²⁵²، وقول الإمام أحمد بن حنبل (رحمه الله) الإيمان يستثنى فيه ولا يمكن أن يكون شاكاً فيه، ولكن هذا الاستثناء هو سنة عند العلماء²⁵³.

وإن استحباب الاستثناء في الإيمان، وكذلك يمكن أن لا تقول إن شاء الله، ولذلك أن الاستثناء لا يجوز أن يقع من باب الشك في الإيمان، لأن من شك في إيمانه فإنه ليس بمؤمن، ولكن يستثنى في الإيمان مع القط والجزم في الإيمان، استدلالاً بما جاء به القرآن الكريم، وما جاءت به السنة النبوية، ومن هذه الأدلة ما روى عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «لكل نبي دعوة مستجابة فعجل كل نبي دعوته، وإنني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً»²⁵⁴، إذن لا يوجد شك عند رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في شفاعة لأمته، وكذلك يروى أن رجل قال " أنا مؤمن لأبن مسعود، فقال له أبن مسعود أفأنت من أهل الجنة؟ فقال أرجو فقال ابن مسعود أفلا وكلت الأولى كما وكلت الأخرى"²⁵⁵ .

²⁵¹ آية، 27/48.

²⁵² ابن أبي شيبة، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، تح: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط: 1، 1409هـ، رقم الحديث 11787، باب ما ذكر في التسليم على القبور إذا مر بها.

²⁵³ الدمشقي، عبد القادر بن أحمد بن مصطفى، المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل، دار طباعة المنبرية، مصر، بدون تاريخ، ص 46.

²⁵⁴ ابن ماجه، أبو عبدالله محمد بن يزيد، سنن ابن ماجه، تح: محمد فؤاد عبدالباقي، فيصل عيسى البابي الحلبي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، دون: ط، رقم الحديث 4307، باب ذكر الشفاعة.

²⁵⁵ الهروي أبو عبيد، كتاب الإيمان، رسالة رقم 2 من رسائل كنوز السنة، تح: محمد ناصر الدين الألباني، المطبعة العمومية، ص 67.

ومن هذه الأدلة من القرآن الكريم ومن السنة النبوية المطهرة التي استدلت بها علماء الأمة الإسلامية في زمن الصحابة والتابعين والقرون الثلاثة الأولى المفضلة وإلى يومنا هذا، وكذلك من علماء أهل الكلام أيضاً لم يختلفوا في الاستثناء في الإيمان، وكذلك استدلوا بالأدلة الشرعية، وإن الاستثناء يجوزونه وحرصوا على اتباع الأدلة، والله ورسوله أحق أن يتبع.

6.3. المنزلة بين المنزلتين عند القاضي الباقلاني

من المعلوم أن الإيمان عند القاضي الباقلاني هو التصديق بالقلب، وهذا ما يشمل التصديق بالله سبحانه وتعالى، وكذلك التصديق بنبيه محمد (صلى الله عليه وسلم) وبكل ما جاء به من ربه من القرآن الكريم، وكذلك عنده من الإيمان هو ما ينطق به اللسان والاعتراف به، وكذلك عنده الاعمال من الإيمان، وإذا توفرت هذه الأركان الثلاثة كان العبد مؤمناً حقيقياً²⁵⁶.

وإن الكفر عند الباقلاني عكس الإيمان، فيكون هو الجحد بالله تعالى أو إنكار أي صفة من صفات الله تعالى، وكذلك عنده الكفر في الأقوال مثل التعدي على الله تعالى أو على نبيه (صلى الله عليه وسلم)، وعنده أنكار الجنة والنار أيضاً من الكفر أو إنكار شيء جاء به النبي (صلى الله عليه وسلم) أو إنكار شيء من القرآن الكريم، هذا هو مفهوم الإيمان والكفر عند القاضي الباقلاني، وأما المسألة المهمة هو أن صاحب الكبائر من الذنوب والمعاصي هل هو كافر أم مؤمن أم له منزلة بين المنزلتين، إن القاضي الباقلاني لا يسمي صاحب الكبيرة كافراً،

²⁵⁶ الباقلاني، الإنصاف فيما يجب اعتقاده وما لا يجوز الجهل به، ص52

واستدل على ذلك بأدلة من القرآن الكريم ومن السنة النبوية المطهرة وكذلك استدل أن صاحب الكبيرة يزوج ويورث ويدفن في مقابر المسلمين، وإنه مؤمن ولا يسمى كافراً²⁵⁷.

وإننا نرى أن القاضي الباقلاني أمره واضح وليس فيه التباس في هذه المسألة، إن الكفر استدل عليه بالآيات والاحاديث وما اجمع عليه علماء الامة، والإيمان أيضاً نفس الطريقة، لا يكفر أحد من أصحاب الكبائر من الذنوب والمعاصي، وعنده هم مؤمنون بالأعمال الصالحة وإن وقعوا في الكبائر، ولا يرى أن هناك من هو بين الكفر والإيمان مهما عمل من عمل، إما يكون مؤمن وإما كافر، ولا يرى ولا يتكلم عن شيء أسمه المنزلة بين المنزلتين، وهذا ما نراه نحن أيضاً لا يوجد بين هتين المنزلتين شيء، إما العبد يكون كافراً خارجاً من ملة الاسلام، بما لديه من الاعتقادات والاقوال والافعال الكفرية، أو يكون مؤمن وإن كان لديه من الذنوب والمعاصي من الكبائر ما عدى الكفر والشرك، ولكن الإيمان يكون درجات، فالإنسان الذي لديه من الذنوب والمعاصي لا يمكن أن يكون إيمانه في اعلى الدرجات وإنما يكون في ادنى الدرجات، ومع هذا يقال له مؤمن بما لديه من الاعمال الصالحة وإن كانت قليلة.

4. المقارنة في مسألة الإيمان والكفر بين القاضي عبد الجبار والقاضي الباقلاني

1.4. المقارنة في مسألة الإيمان بين القاضي عبد الجبار والقاضي الباقلاني

هناك بعض الامور في هذه المسألة يمكن أن نجري فيها المقارنة بين آرائهم وأقوالهم، الإيمان عند القاضي عبد الجبار هو كل الطاعات من الأعمال الصالحة من صلاة وزكاة وحج

²⁵⁷ الباقلاني، تمهيد الاوائل وتلخيص الدلائل، ص 393، 394 .

وبر، وكذلك عنده من الإيمان الابتعاد عن الكبائر من الذنوب والمعاصي، أي إن المؤمن الذي يعمل بالطاعات والذي يجتنب المعاصي والمحرمات، والذي عنده هذه الأمور يسمى مؤمن، وعند القاضي عبد الجبار العمل هو الذي يؤكد العنصرين الآخرين الاعتقاد بالقلب والنطق باللسان، وأما القاضي الباقلاني فإن عنده الأعمال الصالحة أيضاً من الإيمان، لكنه لم يذكر الابتعاد عن المعاصي والذنوب من الإيمان²⁵⁸.

ومن الأمور التي لم يختلفوا بها هي أن الإيمان عند القاضي عبد الجبار هو اعتقاد بالقلب والنطق باللسان والعمل بالجوارح²⁵⁹، كذلك عند القاضي الباقلاني الإيمان هو العلم بالله تعالى والتصديق به وأن التصديق مكانها القلب، وأن الإيمان هو ما موجود في القلب من تصديق بأن الله تعالى إله واحد، وأن الإيمان ليس فقط في القلب وإنما ما يجري على اللسان وما يقوم به العبد من الأعمال، عنده هو ليس ما موجود في القلب فقط وإنما هو ما ينطق به اللسان والاعتراف به، وكذلك هو الأعمال الصالحة التي يقوم بها العبد²⁶⁰.

ومن الأمور الأخرى أن القاضي الباقلاني عنده الإيمان قسمين قسم مرتبط بالله سبحانه وتعالى وهذا سماه الإيمان القديم، أي إيمان الله تعالى بنفسه؛ لأنه سمي نفسه مؤمناً، فقال تعالى: ﴿السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهْنِمُ﴾²⁶¹، وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾²⁶²، وهذا يستدل به على إيمان الله تعالى بنفسه وتصديقه لها، أما القسم الثاني من الإيمان

²⁵⁸ الراوي، العقل والحرية، ص 375، 377.

²⁵⁹ الراوي، العقل والحرية، ص 377.

²⁶⁰ الباقلاني، الإنصاف فيما لا يجب اعتقاده وما لا يجوز الجهل به، ص 52.

²⁶¹ الحشر، 59 / 23.

²⁶² آل عمران، 3 / 18.

فهذا مرتبط بالإنسان ويسمى الإيمان المحدث، واستدللاً بقوله سبحانه وتعالى ﴿وَلَيْكَ كِتَابٌ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانُ﴾²⁶³، أي معنى هذا خلق الإيمان في قلوبهم.²⁶⁴ وهذه المسألة لم يرد ذكرها عند القاضي عبد الجبار.

إننا نرى ومن خلال هذه المقارنة لا يوجد خلاف حاد وقوي بين القاضي عبد الجبار والقاضي الباقلاني رحمهم الله تعالى في مسألة الإيمان، إلا في مسائل لم يتطرق لها أحد الطرفين، كلاهما يتفقان في أن الإيمان ليس في الصلاة فقط مثلاً أي أن الأعمال كلها، ولكن الإيمان يكون في الابتعاد عن المعاصي والذنوب أيضاً، إذن الإيمان هو جميع الأعمال الصالحة من الفروض والسنن، واجتناب المعاصي، ولكن الوقوع في الذنوب والمعاصي من الكبائر لا يخرج من الإيمان إلى الكفر، هذا ما نراه نحن وإن الإيمان عندهم هو الاعتقاد بالقلب والنطق باللسان والعمل بالجوارح، وهذا ما نراه نحن أيضاً، ولا فائدة من الاعتقاد بالقلب والنطق باللسان إلا إذا طبق على الواقع أي العمل، وأن الأعمال تقع ضمن الإيمان أي لا إيمان من غير عمل، ولكن هذا الرأي يوجد من يخالفه، أي أنه يعني أن الإنسان إذا عرف الله ولم يقوم بالأعمال الصالحة من فروض وسنن، ويتعدى حدود الله أي إنه يقع في المحرمات يعتبرونه مؤمن، وهذا ما نراه لا يمكن أن يكون مؤمن.

إننا نرى ومن خلال كثير من الأدلة الشرعية التي تبين أن الإيمان هو كل الأعمال الصالحة من الفرائض والسنن، ونستدل على ذلك بقول النبي (صلى الله عليه وسلم): «الإيمان

²⁶³ المجادلة، 22/58.

²⁶⁴ الباقلاني، الإنصاف فيما يجب اعتقاده وما لا يجوز الجهل به، ص 51، 52.

بضعة وسبعون جزءاً أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إمطة الأذى عن الطريق»²⁶⁵، وكذلك قوله (صلى الله عليه وسلم): «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»²⁶⁶.

2.4. المقارنة في مسألة الكفر بين القاضي عبد الجبار والقاضي الباقلاني

الكفر عند القاضي الباقلاني رحمه الله تعالى هو ضد الإيمان، ويكون على أقسام منه كفر الجحود بالله تعالى والتكذيب به، وكذلك كفر اعتقادي كأن ينكر صفة من صفات الله تعالى مثل القدرة والسمع والبصر، وكذلك كفر الأفعال مثل رمي المصحف في مكان غير طاهر، وكذلك كفر أقوال مثل التعدي على الله سبحانه وتعالى بالكلام أو على رسوله (صلى الله عليه وسلم)، فهذا كله مخرج من الملة الإسلامية، وكذلك من نكر وجوب الجنة والنار، أو تكذيب شيء موجود في القرآن الكريم²⁶⁷.

وهذا لا يختلف عما عند القاضي عبد الجبار في مسألة الكفر حيث يقول إن الإنسان يجب أن يثبت لله ما أثبت لنفسه، ومن المعلوم أن الله تعالى أثبت لنفسه القدرة والسمع والبصر وكل الصفات الآخر، ومن لم يثبت هذا لله تعالى فإنه كافر، إذن لا يختلفان في هذه المسألة²⁶⁸.

وهناك مسألة أخرى وهي التي يكون بينهم خلاف وهي أن الذي يرتكب الذنوب والمعاصي من الكبائر القاضي الباقلاني يقول أن صاحب الكبيرة لا يسمى كافراً، واستدل على

²⁶⁵ الهروي، كتاب الإيمان، ومعالمه وسننه واستكمالته ودرجاته، ص15.

²⁶⁶ عبد الله بن المبارك، الزهد والرقائق لابن المبارك، بيروت، رقم الحديث 677، ص236.

²⁶⁷ الباقلاني، تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، ص392، 393.

²⁶⁸ القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، ص125.

ذلك أنه صاحب الكبيرة يزوج ويورث ويدفن في مقابر المسلمين، بل هو مؤمن بما فيه من الاعمال الصالحة الاخرى²⁶⁹، ولكن القاضي عبد الجبار رأيه خلاف هذا القول حيث يقول أن صاحب الكبيرة لا يسمى كافراً ولا يسمى مؤمناً وإنما فاسقاً²⁷⁰.

وهناك مسألة أخرى يوجد خلاف بين القاضي عبد الجبار والقاضي الباقلاني، وهي أن كل الذنوب والمعاصي غير الكفر والشرك أي باقي الكبائر، فإن صاحبها غير خالد في نار جهنم، وهذا رأي القاضي الباقلاني²⁷¹، وأما القاضي عبد الجبار فله رأي آخر في هذه المسألة، يقول أن أصحاب الكبائر من الذنوب والمعاصي خالدين في نار جهنم ولا تشملهم شفاعة النبي (صلى الله عليه وسلم)؛ لأن الشفاعة للمؤمنين وأصحاب الكبائر غير مؤمنين²⁷²، واستدل على ذلك بقوله تعالى ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾²⁷³.

ومن الأمور التي لم يختلفوا فيها القاضيين هي مسألة التوبة، القاضي عبد الجبار يقول أن الذي يرتكب الذنوب والمعاصي من الكبائر يتوب الله سبحانه وتعالى عليه إذا تاب إلى الله تعالى توبة نصوحة وخالصة إلى الله تعالى، وقد استدل على ذلك بأدلة عقلية من القرآن الكريم وأدلة عقلية، ولا يخالفه في هذا القاضي الباقلاني²⁷⁴.

²⁶⁹ الباقلاني، تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، ص 404.

²⁷⁰ القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، ص 126.

²⁷¹ الباقلاني، تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، ص 404.

²⁷² القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، ص 93.

²⁷³ غافر، 40 / 18.

²⁷⁴ القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، ص 99، 100.

ومن الأمور الأخرى التي اختلفوا بها أيضاً هو أن العبد إذا كان مرتكب من كبائر الذنوب والمعاصي وتوفاه الأجل أي الموت قبل أن يتوب وهو على حاله فإنه يكون كافراً، هذا عند القاضي عبد الجبار²⁷⁵، وأما القاضي الباقلاني فرأيه يخالف هذا الكلام، حيث يقول أن صاحب الكبائر من الذنوب والمعاصي إذا توفاه الأجل قبل أن يتوب فإنه مؤمن بما فيه من إيمان²⁷⁶.

إننا نرى في هذه المسألة أي الكفر وهي من المسائل الخطيرة جداً يوجد اختلاف بينهم وخصوصاً اطلاق كلمة الكفر على صاحب الكبيرة إذا لم يتب، وكذلك خلود صاحب الكبيرة في جهنم، وهذا ليس بالأمر الهين، وإنما هو من أخطر الأمور، ومن هذا الاختلاف والشدة على مرتكب الكبيرة وتكفيره ظهرت الفرق والجماعات التكفيرية التي تكفر وتحل قتل صاحب الكبيرة، وما نراه اليوم في بلاد المسلمين من قتل وإبادة جماعية في بلاد المسلمين إلا بسبب هذه الآراء التكفيرية المتشددة، وإن الرأي الآخر الذي لا يكفر صاحب الكبيرة وهذا ما عليه الباقلاني، ونحن ما عليه أيضاً، لا يمكن أن يكفر صاحب الكبيرة كيف يكفر وهو يدفن في مقابر المسلمين ويزوج ويورث هذا في زمن القرون الثلاثة الأولى المفضلة، وكذلك صاحب الكبيرة تشمل شفاعته النبي (صلى الله عليه وسلم)، وذلك بدلالة الأحاديث الواردة بذلك، والكافر غير مشمول بالشفاعة.

²⁷⁵ القاضي عبد الجبار، المختصر في أصول الدين، ص 371.

²⁷⁶ الباقلاني، تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل، ص 404.

3.4. المقارنة في زيادة الإيمان ونقصانه بين القاضي عبد الجبار والقاضي الباقلاني

من المعلوم أن كل من يقول الإيمان هو التصديق بالقلب والنطق باللسان والعمل بالجوارح، فإنه يقول بزيادة الإيمان ونقصانه.

وهذا القاضي عبد الجبار (رحمه الله) يقول في زيادة الإيمان ونقصانه، وأن هذه الزيادة والنقصان تكون في الأعمال، وقد استدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾²⁷⁷، وكذلك استدل بحديث النبي (صلى الله عليه وسلم) «لا إيمان لمن لا أمانة له»²⁷⁸، وقد قال القاضي عبد الجبار أن هذه الاعمال التي ذكرت في هذه الأدلة هي من الإيمان، وإن هذه الاعمال ممكن تتزايد وتتناقص في الشخص نفسه أو بين شخصين²⁷⁹، وكذلك استدل بأن النبي (صلى الله عليه وسلم) إيمانه ليس كإيمان باقي البشر²⁸⁰.

لم يختلف القاضي الباقلاني فيما قاله القاضي عبد الجبار، وإنه يثبت زيادة الإيمان ونقصانه، وهذا يكون في العمل دون التصديق والقول وايضاً يستدل عليه بآيات من القرآن الكريم واحاديث نبوية، لكنه خالفه في زيادة الإيمان ونقصانه في القول، وإن القاضي عبد الجبار لم يقل بزيادة الإيمان ونقصانه في القول، وإن القاضي الباقلاني يقول بما أنه الإيمان يتكون من

²⁷⁷ الأنفال، 8 / 2.

²⁷⁸ ابن راهويه، مسند إسحاق بن راهويه، رقم الحديث 409، 382/1.

²⁷⁹ القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، ص 101.

²⁸⁰ القاضي عبد الجبار، المختصر في اصول الدين، ص 384.

التصديق بالقلب والنطق باللسان وعمل بالجوارح إذن تكون الزيادة والنقصان في هذه الامور الثلاثة، أو ببعض هذه الاركان، فيقول ممكن الزيادة والنقصان في القول والعمل، لأن الاقوال والاعمال ممكن الزيادة والنقصان بها، ويكون التصديق ثابت²⁸¹.

إننا نرى بما أنه أصل الإيمان هو التصديق بالقلب والنطق باللسان وعمل بالجوارح، والتصديق ثابت عند الطرفين أي عند القاضي الباقلاني والقاضي عبد الجبار، وأن الاعمال فيها زيادة ونقصان ولا يختلفان في هذا، إذن الفجوة والخلاف بينهم في مسألة زيادة الإيمان ونقصانه قليلة جداً.

وكذلك إننا نرى بالنسبة لزيادة الإيمان ونقصانه إنه لا يمكن أن يكون في القول وإنما يكون فقط في الاعمال، لأن القول ثابت لأنه لا يمكن أن يكون القول كثير أو قليل، لأن ممكن كلمة واحدة تزيل الإيمان، وكذلك بالنسبة للاعتقاد أيضاً فإنه ثابت لا يمكن أن يكون فيه زيادة أو نقصان، لأنه إما اعتقد في شيء أو لا اعتقد؛ إذن هو ثابت وليس فيه درجات.

4.4. المقارنة في المنزلة بين المنزلتين بين القاضي عبد الجبار والقاضي الباقلاني

إن القاضي عبد الجبار له قول في هذه المسألة، ومن المعلوم أن الكفر عند القاضي عبد الجبار هو أن العبد إذا ينفي ما أثبتته الله تعالى لنفسه وما أوجبه الله لنفسه، يكون العبد كافراً، وكذلك أن العبد إذا وصف الله تعالى بصفات لا تليق به مثل الظلم والكذب فيكون كافراً، وأمور أخرى كثيرة عنده من الكفر²⁸²، وإن القاضي عبد الجبار يقر بوجود الكبائر من الذنوب والمعاصي واستدل عليها من القرآن الكريم ومن السنة النبوية المطهرة وما اجمع عليه علماء

²⁸¹ الباقلاني، الإنصاف فيما يجب اعتقاده وما لا يجوز الجهل به، ص 54.

²⁸² الراوي، العقل والحرية في دراسة فكر القاضي عبد الجبار، ص 378.

الامة الإسلامية، وإن صاحب الكبيرة من الذنوب والمعاصي غير الشرك والكفر، لا يسمى كافراً، ولا يطبق عليه احكام الكفار من عدم تورثه ولا دفنه في مقابر المسلمين ولا يزوج، وإنما يسمى فاسقاً، ولا يسمى مؤمناً، لأنه يتبرأ منه بما فيه من الكبائر²⁸³.

ومن هنا نرى أن القاضي عبدالجبار لم يكن شديد في الحكم على صاحب الكبيرة من الذنوب والمعاصي من حيث الحكم مثل الخوارج الذين يحكمون عليه بالكفر، ولا يحكم عليه بالإيمان مثل المرجئة والاشاعرة ولكن حكمه بين الكفر والإيمان، أي جعل له منزلة بين المنزلتين وهذا ما يميز فرقة المعتزلة عن الفرق الأخرى.

وأما القاضي الباقلاني فمن المعلوم أن الإيمان عنده هو ما يوجد في القلب من تصديق بأن الله تعالى إله واحد، والتصديق بأن النبي محمد(صلى الله عليه وسلم) نبي الله تعالى، وأن كل ما جاء به هو من عند الله تعالى، وأن الإيمان ليس فقط في القلب، وإنما هو ما يجري على اللسان، وكذلك الإيمان هو ما يقوم به العبد من الاعمال، وإذا اجتمعت هذه الأمور الثلاثة أي الاعتقاد والقول والعمل اصبح العبد مؤمناً حقيقياً عند الله سبحانه وتعالى²⁸⁴، الكفر عنده هو الجحود بالله تعالى أو إنكار صفة من صفات الله تعالى أو إنكار وجود الجنة أو النار وكذلك امور أخرى كثيرة.²⁸⁵ وكذلك من الكفر عنده مثل التعدي على الله تعالى أو على النبي(صلى الله عليه وسلم)، وكذلك من الكفر إنكار فرض من الفروض²⁸⁶

²⁸³ الشاويشي، واصل بن عطاء وأرائه الكلامية، ص 210.

²⁸⁴ الباقلاني، الأنصاف فيما يجب اعتقاده وما لا يجوز الجهل به، ص 52.

²⁸⁵ الباقلاني، تمهيد الاوائل وتلخيص الدلائل، ص 393، 394.

²⁸⁶ الباقلاني، تمهيد الاوائل وتلخيص الدلائل، ص 393.

إذن القاضي الباقلاني يخالف القاضي عبد الجبار في مسألة إطلاق كلمة الكفر،
يختلفان في أن صاحب الكبيرة إذا مات قبل التوبة فعند القاضي عبد الجبار هو كافر وعند
القاضي الباقلاني إنه مؤمن، وكذلك يختلفان في أن العبد إذا ارتكب الكبيرة لا يسمى مؤمناً عند
القاضي عبد الجبار، وإنما له حكم بين الحكمين أي بين الإيمان والكفر هو الفسق، وأما القاضي
الباقلاني يسمي مرتكب الكبيرة دون الشرك والكفر مؤمناً بما فيه من أعمال صالحة.

مما يتبين أن القاضي عبد الجبار عنده حكم الفسق هو المنزلة بين الكفر والإيمان وهو
ما يسميه المنزلة بين المنزلتين، وأما القاضي الباقلاني حكمه أن صاحب الكبيرة من الذنوب
والمعاصي لا يكون كافر وإنما هو مؤمن، إلا صاحب الكبائر التي تخرج صاحبها من دائرة
الإسلام مثل الشرك والكفر، وكذلك التعدي على الله أو رسوله (صلى الله عليه وسلم) فإنه كافر،
وليس لديه حكم أو منزلة بين الكفر والإيمان، إما كافر وإما مؤمن ولا يقول في الحكم الذي
يعني المنزلة بين المنزلتين.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين الذي منّ علينا إتمام هذه الدراسة حول عقيدة الإيمان عند القاضي عبد الجبار والقاضي الباقلاني، والتي تناولت عقيدتهما في الإيمان، وما تضمنت من الإيمان والكفر ودخول صاحب الكبيرة في الكفر إذا مات قبل أن يتوب، هذا عند القاضي عبد الجبار فإنه في نار جهنم من الخالدين، ولا يصبح كافراً بل هو مؤمن حتى إذا لم يتب فإنه في الجنة بعد أن يقضي عقوبته في جهنم، أو يغفر الله له ثم يدخله الجنة، هذا هو رأي الباقلاني، وكذلك بينا قول القاضي عبد الجبار في مسألة في المزمة بين المنزلتين والذي يقر بوجود هذه المزمة والتي تعني أن صاحب الكبيرة ليس بكافر ولا مؤمن، وأما قول القاضي الباقلاني الذي يخالفه في هذه المسألة حيث لا يقول بوجود هذه المزمة بين المنزلتين وإنما يقول يكون العبد إما مؤمن وإما كافر، وكذلك بينا رأيهما في زيادة الإيمان ونقصانه والذان يقولان بهذا، وكذلك بينا مسألة الاستثناء في الإيمان، القاضي عبد الجبار لم يقل بالاستثناء في الإيمان وأما القاضي الباقلاني فيقول بالاستثناء في الإيمان.

وأن دين الإسلام دين تعايش ودين محبة، لا دين تكفير وقتل، ولا استحلال أموال ودماء الناس بالباطل، ولا يمكن الأخذ بظاهر النصوص الشرعية وإنزالها على الواقع وتكفير الناس والمجتمعات بغير الحق، ويتبين لنا أن الإيمان مهم جداً بالنسبة للدين الإسلامي الحنيف، وإن القاضي عبد الجبار قوله في الإيمان غير متهاون وشديد على أصحاب الكبائر ولكن أقل شدة من الخوارج الذين يكفرون صاحب الكبيرة، وكذلك أكثر شدة من الباقلاني الذي لا يكفر صاحب الكبيرة، هذا ما وفقنا الله أن نتوصل إليه من خلال البحث والتقصي عن حقيقة الإيمان والكفر عندهما، والإيمان الذي هو أساس الدين الذي جاء به النبي (صلى الله عليه وسلم).

واما بالنسبة للاقتراحات والملاحظات فإني أرى أن الكفر يجب الحذر منه من خلال معرفته لتجنب الوقوع فيه من حيث لا نعلم، وكذلك معرفة الإيمان لكي العمل به، وكذلك اقترح أن تكون بحوث ورسائل مكثفة وكذلك محاضرات بهذا الموضوع أي اعني به الإيمان وما يتعلق به الامور الاخرى.

من خلال ل دراستنا لعقيدة الإيمان عند القاضيين توصلنا إلى نتائج مهمة، منها يوجب البحث على وجوب دراسة دقيقة للإيمان من أجل الوقوف على حقيقة حكم صاحب الكبيرة ، ومن خلال البحث تبين أن دراسة الإيمان مهمة جداً في الشريعة الاسلامية، إذ بها الفهم والتمييز بين الإيمان والكفر، وأن الإيمان هو العمل، وأن المسلم لا يكون بعيداً عن هذا الموضوع أو يستغني عنه.

ولقد تكلم في مسألة الإيمان بحوث كثيرة وفي رسائل وكتب، إلا أنه لم يوجد أحد قام بدراسة أو ببحث خاص عن الإيمان عند القاضي عبدالجبار والقاضي الباقلاني والمقارنة بينهما، ولقد كنت حريصاً على توضيح ما قالوه عن الإيمان وفي كل ما يتعلق به من اصحاب الكبائر، وكذلك المنزلة بين المنزلتين وكذلك زيادة الإيمان نقصانه، مع الأدلة من القرآن الكريم والسنة النبوية لكل واحد منهما.

وفي الختام نسأل الله العظيم أن يجعل عملنا خالصاً لوجهه الكريم، وأن لا يجعل للشيطان فيه من نصيب، إنه القادر على ذلك، وصلي الله على نبينا محمد وعلى آله وسلم.

المصادر والمراجع

ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم الحراني، **مجموع الفتاوى**، تح: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، 1416هـ، 1995م.

ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن هلال بن أسد الشيباني، **فضائل الصحابة**، تح: وصي الله محمد عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: 1، 1403، 1983.

ابن خزيمة، أبو بكر محمد بن إسحاق بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري، **كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل**، تح: عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، مكتبة الرشد، الرياض، ط: 5، 1414هـ، 1994م.

ابن راهويه، أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم الحنظلي المروزي، **مسند إسحاق بن راهويه**، تح: عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي، مكتبة الإيمان، المدينة المنورة، ط: 1، 1412هـ، 1991م.

ابن عساكر، ثقة الدين، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله، **معجم الشيوخ**، تح: الدكتور وفاء تقي الدين، دار البشائر، دمشق، ط: 1، 1421هـ، 2000م.

ابن ماجه، أبو عبدالله محمد بن يزيد، **سنن ابن ماجه**، تح: محمد فؤاد عبدالباقي، فيصل عيسى البابي الحلبي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، دون: ط.

ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي، **الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار**، تح: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط: 1، 1409هـ.

ابن أبي شيبة، **مسند ابن أبي شيبة**، تح: عادل بن يوسف العزازي وأحمد بن فريد المزيدي، دار الوطن، الرياض، ط: 1، 1997م.

أبو عبد الرحمن البسام، عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح بن حمد بن محمد بن حمد، **تيسير العلامة شرح عمدة الأحكام**، تح: محمد صبحي بن حسن حلاق، مكتبة الصحابة، الإمارات، ط: 10، 1426هـ، 2006م.

الهروي أبو عبيد، القاسم بن سلام، **كتاب الإيمان، رسالة رقم 2 من رسائل كنوز السنة**، تح: محمد ناصر الدين الألباني، المطبعة العمومية.

أبو منصور البغدادي، عبد القاهر بن طاهر بن محمد التميمي البغدادي، **أصول الدين**، تح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1423هـ، 2002م.

أبو منصور الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود الماتريدي السمرقندي، **كتاب التوحيد**، تح: د بكر طوبال اغلي، دار صادر، بيروت، 1422هـ، 2001م.

الأشعري، أبي الحسن علي بن اسماعيل بن عبد الله، **الإبانة عن أصول الديانة**، دار ابن زيدون، لبنان، ط: 1.

أبو منصور الماتريدي، أبي منصور محمد بن محمود الحنفي الماتريدي، **كتاب شرح الفقه الأكبر**، جمعية دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد.

الغامدي، أحمد بن عطية بن علي الغامدي، **الإيمان بين السلف والمتكلمين**، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط: 1، 1423هـ، 2002م.

أحمد مختار عبد الحميد عمر، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، عالم الكتب، القاهرة، ط: 1، 1429هـ، 2008م.

الأزدي، معمر بن أبي عمرو راشد مولاهم، أبو عروة البصري، نزيل اليمن، **الجامع**، تح: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: المجلس العلمي بباكستان، وتوزيع المكتب الإسلامي ببيروت، ط: 2، 1403هـ.

الإيجي، عضدالله والدين، القاضي عبدالرحمن بن أحمد، **المواقف في علم الكلام**، عالم الكتب، بيروت.

الباقلاني، القاضي أبي بكر محمد بن الطيب، **الإنصاف فيما يجب اعتقاده وما لا يجوز الجهل به**، تح: محمد زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، 1412هـ، 1992م.
الباقلاني، **تمهيد الأوائل وتخليص الدلائل**، تح: عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب والثقافة، بيروت، ط: 1، 1407هـ، 1987.

البخاري، محمد بن اسماعيل أبو عبدالله، **صحيح البخاري**، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط: 1، 1422هـ، رقم الحديث 52، باب فضل من استبراء لدينه.

البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسرَوُجُردِي الخراساني، **السنن الكبرى**، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، لبنان، ط: 3، 1424هـ، 2003م.

التفتزاني، مسعود بن عمر بن عبدالله الشهير سعيدالدين التفتزاني، **شرح المقاصد**، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1422هـ، 2001م.

الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف، **التعريفات**، تح: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط: 1، 1403هـ، 1983م.

الجوهري، علي بن الجعد بن عبيد البغدادي، **مسند ابن الجعد**، تح: عامر أحمد حيدر، مؤسسة نادر، بيروت، ط: 1، 1410هـ، 1990م.

الجويني، إمام الحرمين أبي المعالي عبدالملك بن عبدالله بن يوسف الجويني، **العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية**، تح: محمد زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، 1412هـ، 1992م.

الحكمي، حافظ بن أحمد بن علي، **معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول**، تح: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم، الدمام، ط: 1، 1410هـ، 1990.

الحنفي، قاسم بن عبدالله بن أمير علي القونوي، **أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء**، تح: يحيى حسن مراد، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ، 2004م.

حياة بن محمد بن جبريل، **الآثار الواردة عن عمر بن عبد العزيز في العقيدة**، عمادة البحث العلمي بالجامعة، الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط: 1، 1423هـ، 2002م.

الدمشقي، عبدالقادر بن أحمد بن مصطفى، **المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل**، دار طباعة المنبرية، مصر.

الرازي، زين الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر، **مختار الصحاح**، تح: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، ط: 5، 1420هـ، 1999م.

الزاغوني، أبي الحسن علي عبدالله بن الزاغوني، **الإيضاح في أصول الدين**، تح: عصام السيد محمود، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، 1424هـ، 2003م.

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد جارالله، **أساس البلاغة**، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 14.19هـ، 1998م.

السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي، **سنن أبي داود**، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت.

السفيري، شمس الدين محمد بن عمر بن أحمد الشافعي، **المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية صلى الله عليه وسلم من صحيح الإمام البخاري**، تح: أحمد فتحي عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1425هـ، 2004م.

سيدي أحمد زروق، **شرح عقيدة الإمام الغزالي**، تح: محمد عبدالقادر نصار، دار الكرز للنشر والتوزيع، القاهرة، ط: 1، 1428هـ، 2007م.

شمس الدين، أبو العون، حمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، **لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية**، مؤسسة الخافقين ومكتبتها، دمشق، ط: 2، 1402هـ، 1982.

الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1415هـ، 1995م.

الشهرستاني، محمد عبدالكريم، *الملل والنحل*، تح: محمد سيد كيلاني، مطبعة الحلبي، مصر، 1387هـ، 1967م.

الشوايشي، سليمان الشوايشي، *واصل بن عطاء وآراؤه الكلامية*، الدار العربية للكتاب، 1993م.
الصابوني، نور الدين، *البداية من الكفاية في الهداية في اصول الدين*، تح: فتح الله خلف، دار المعارف، مصر، 1969م.

صدر الدين محمد بن علاء الدين، علي بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذري الصالحي
الدمشقي، *شرح العقيدة الطحاوية*، تح: جماعة من العلماء، تخريج: ناصر الدين
الألباني، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة (عن مطبوعة المكتب
الإسلامي)، ط: 1، 1426هـ، 2005م.

الصنعاني، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني، *المصنف*، تح: حبيب
الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي، الهند، بيروت، ط: 2، 1403هـ.

الطيالسي، أبو داود سليمان بن داود بن الجارود البصري، *مسند أبي داود الطيالسي*، تح:
الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر، مصر، ط: 1، 1419هـ، 1999م.

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، *تذكرة المؤتسي شرح عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي*،
غراس للنشر والتوزيع، ط: 1، 1424هـ، 2003م.

عبد الله بن المبارك، أبو عبد الرحمن بن واضح الحنظلي، التركي ثم المروزي، *الزهد والرقائق*
لابن المبارك، تح: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت.

عبدالرزاق البدر، *اسباب زيادة الإيمان ونقصانه*، مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر، ط: 1، 1427هـ، 2006م.

الراوي، عبدالستار الراوي، *العقل والحرية دراسة في فكر القاضي عبد الجبار*، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط: 1، 1980م، 1400هـ.

عبدالله بن عبد الحميد الأثري، *الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة*، مدار الوطن، الرياض، ط: 1، 1424هـ، 2003م.

العمرجي، احمد شوقي ابراهيم، *المعتزلة في بغداد وأثارهم*، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط: 1، 1420هـ، 2000م.

القاضي عبد الجبار، *المغني في أبواب التوحيد والعدل*، وقفية الأمير غازي للفكر القرآني، تح: سعيد زايد، موفق الطويل.

القاضي عبد الجبار، *تنزيه القرآن عن المطاعن*، دار النهضة الحديثة، بيروت.

القاضي عبد الجبار، *شرح الأصول الخمسة*، تح: عبدالكريم عثمان، مكتبة وهبة، القاهرة، ط: 3، 1416هـ، 1996م.

القاضي عبد الجبار، *مختصر الأصول الخمسة*.

القاضي عبد الجبار بن أحمد بن خليل بن عبدالله الهمداني، *الأصول الخمسة*، تح: فيصل بدير عون، مجلس النشر العلمي، الكويت، ط: 1، 1998م.

القاضي عبد الجبار، *رسائل العدل والتوحيد*، تح: محمد عمارة، ط: 2، دار الشروق، القاهرة، 1408هـ، 1988م.

الكرمي، مرعي بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد المقدسي الحنبلي، **الكلمات النبّات**، تح: عبد الحكيم الأنيس، المكتب الإسلامي لإحياء التراث، ط: 1، 1425هـ، 2004م.

الكفوي، أبو البقاء الحنفي، **الكليات**، تح: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت.

اللالكائي، أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي، **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة**، تح: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، دار طيبة، السعودية، ط: 8، 1423هـ، 2003م.

محمد بن عبدالرحمن الخميس، **اعتقاد الأئمة الأربعة**، دار العاصمة، الرياض، ط: 1، 1412هـ، 1992م.

محمد عمارة، **المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية**، دار الشروق، بيروت، ط: 2، 1408هـ، 1988م.

مسلم، بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، **صحيح مسلم**، تح: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

المنائي، زين الدين محمد بن علي الحدادي، **التوقيف على مهمات التعاريف**، عالم الكتب، القاهرة، ط: 1، 1410هـ، 1990م.

الموصلي، أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، **المعجم**، تح: إرشاد الحق الأثري، إدارة العلوم الأثرية، فيصل آباد، ط: 1، 1407هـ.

الموصلي، **مسند أبي يعلى**، تح: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، ط: 1،
1404هـ، 1984م.

النسفي، أبو معين، ميمون بن محمد بن محمد بن معتمد بن محمد بن مكحول بن الفضل النسفي
المكحولي، **التمهيد لقواعد التوحيد**، تح: حبيب الله حسن أحمد، دار الطباعة
المحمدية، القاهرة، 1406هـ، 1986م.

الهروي، أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله البغدادي، **كتاب الإيمان "ومعالمه، وسننه،
واستكماله، ودرجاته"**، تح: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط: 2،
1403هـ، 1983م.

VAN YÜZÜNCÜ YIL ÜNİVERSİTESİ
SOSYAL BİLİMLEUR ENSTİTÜSÜ
LİSANSÜSTÜ TEZ ORJİNALLİK RAPOR

Tez Başlığı / Konusu

03 /09 /2020

KÂDÎ ABDÜLCEBBÂR VE KADÎ BÂKILLÂNÎ’NİN İMAN Yukarıda başlığı/konusu belirlenen tez çalışmamın Kapak sayfası, Giriş, Ana bölümler ve Sonuç bölümlerinden oluşan toplam (107) sayfalık kısmına ilişkin, 03/09/2020, tarihinde şahsım/tez danışmanım tarafından, (Twnitin) .intihal tespit programından aşağıda belirtilen filtreleme uygulanarak alınmış olan orijinallik raporuna göre, tezimin benzerlik oranı % 11 (On bir) dir.

Uygulanan Filtreler Aşağıda Verilmiştir:

- Kabul ve onay sayfası hariç,
- Teşekkür hariç,
- İçindekiler hariç,
- Simge ve kısaltmalar hariç,
- Gereç ve yöntemler hariç,
- Kaynakça hariç,
- Alıntılar hariç,
- Tezden çıkan yayınlar hariç,
- 7 kelimedenden daha az örtüşme içeren metin kısımları hariç (Limit match size to 7 words)

Van Yüzüncü Yıl Üniversitesi Lisansüstü Tez Orijinallik Raporu Alınması ve Kullanılmasına İlişkin Yönergeyi İnceledim ve bu yönergede belirtilen azami benzerlik oranlarına göre tez çalışmamın herhangi bir intihal içermediğini; aksinin tespit edileceği muhtemel durumda doğabilecek her türlü hukuki sorumluluğu kabul ettiğimi ve yukarıda vermiş olduğum bilgilerin doğru olduğunu beyan ederim.

Gereğini bilgilerinize arz ederim.

03/09/2020

Fıras Najm ABDULLAH

Adı Soyadı : Fıras Najm ABDULLAH

Öğrenci No : 18920003010

AnabilimDalı : Temel İslam Bilimleri

Programı : Tezli Yüksek Lisans

Statüsü : Y. Lisans X Doktora ☐

DANIŞMAN

Dr. Öğr. Üye. Metin YILDIZ

/ /2020

ENSTİTÜ ONAYI

U Y G U N D U R

/ /2020

Doç. Dr. Bekir KOÇLAR

Enstitü Müdürü

ÖZGEÇMİŞ

Kişisel Bilgiler

Soyadı, Adı : FIRAS NAJM ABDULLAH
Uyruğu : Irak
Doğum Tarihi ve Yeri : 01.01.1975
Telefon : 9647708697482
Faks :
E-mail : frasnjm08@gmail.com



Eğitim

Derece	Eğitim Birimi	Mezuniyet Tarihi
Doktora		
Yüksek Lisans	Van Yüzüncü Yıl Üniversitesi	2020
Lisans	Baghdad Üniversitesi	2006

İş Deneyimi

Yıl	Yer	Görev
.....		

Yıl	Yer	Görev
Yabancı Dil	Seviye	
Arapçe	A	
Kurdce	A	
Turkish	B	
İngilizce	B	

SIMGELER VE KISALTMALAR

Tezimde kısaltma ve işaretleri kullanmadım. Lakin dipnotlarda aşağıda geçen kısaltma ve işaretler kullanılmıştır.

ط	Baskı Tarihi
تح	Tahkik Eden kişi
ج	Cilt
ص	Sayfa
ھ	Hicri
د.ط	Basım Yeri Yok
د.ت	Basım Tarihi Yok

4.4. Kâdî Abdülcebbar Ve Kâdî Bâkılani Arasında El-Menziletu	
Beyne’l- Menzileteyn Meselesinin Karşılaştırılması.....	104
SONUÇ	106
KAYNAKÇA	108
ÖZGEÇMİŞ	
TEZ ORJİNALLİK RAPORU	



İÇİNDEKİLER

ÖZET	V
ABSTRACT.....	VII
İÇİNDEKİLER.....	IX
ÖNSÖZ	1
GİRİŞ	3
1. İMAN VE KÜFÜR KELİMESİNİN SÖZLÜK VE TERİM ANLAMI.....	10
1.1. İman Kelimesinin Sözlük Ve Terim Anlamı.....	10
1.2. Küfür Kelimesinin Sözlük Ve Terim Anlamı.....	16
2. KÂDÎ ABDÜLCEBBAR BİN AHMED EL-HEMEDANİ'YE GÖRE	
 İMAN VE KÜFÜR	18
2.1. Kâdî Abdülcebbarın Doğumu, Yetiştirilmesi, Eğitimi Ve Eserleri.....	18
2.2. Kâdî Abdülcebbara Göre İman	22
2.3. Kâdî Abdülcebbara Göre Küfür.....	30
2.4. Kâdî Abdülcebbara Göre El-Menziletu Beyne'l-Menziletin Kavramı	38
2.5. Kâdî Abdülcebbara Göre İmanın Artması Ve Eksilmesi Meselesi.....	47
3. KÂDÎ BÂKİLLÂNÎYE GÖRE İMAN VE KÜFÜR KAVRAMLARI.....	54
3.1. Kâdî Bâkîllânîyenin Doğumu, Yetiştirilmesi, Eğitimi Ve Eserleri.....	54
3.2. Kâdî Bâkîllânîye Göre Küfür Kavramı.....	70
3.3. Kâdî Bâkîllânîye Göre İmanın Artması Ve Eksilmesi Meselesi.....	85
3.4. Kâdî Bâkîllânîye Göre İstisna Kavramı.....	91
3.5. Kâdî Bâkîllânîye Göre El-Menziletu Beyne'l-Menziletin Kavramı.....	93
4. KÂDÎ ABDULCABBAR VE KÂDÎ BÂKİLLÂNÎ ARASINDA İMAN	
 VE KÜFÜR MESELESİNİN KARŞILAŞTIRILMASI.....	96
4.1. Kâdî Abdülcabbar Ve Kâdî Bâkîllânî Arasında İman Meselesinin Karşılaştırılması.....	96
4.2. Kâdî Abdülcebbar Ve Kâdî Bâkîllânî Arasında Küfür Meselesinin Karşılaştırılması.....	99
4.3. Kâdî Abdülcebbar Ve Kâdî Bâkîllânî Arasında İmanın Artması Ve Eksilmesi Meselesinin Karşılaştırılması.....	102

كأن يكون عدم الاعتقاد بصفة من صفات الله تعالى، وقسم آخر هو كفر الأفعال، وكفر اقوال وهذا متعلق بالكلام والتعدي على الله تعالى وعلى النبي (صلى الله عليه وسلم).

وكذلك من الأمور المتعلقة بالإيمان هو المنزلة بين المنزلتين، تعني هذه التسمية هو أن صاحب الكبيرة من الذنوب والمعاصي لا يسمى كافراً ولا يسمى مؤمناً، القاضي عبد الجبار يقول في هذا لأنه اصل من الأصول الخمسة التي عليها المعتزلة، وأما القاضي الباقلاني لا يقول بهذا الاصل أي المنزلة بين المنزلتين، أي أن العبد إما مؤمن وإما كافر، ولذلك عنده صاحب الكبيرة مؤمن بما لديه من اعمال صالحة ولا يكفر. وأما في مسألة الاستثناء فللقاضي الباقلاني قول فيها ، وهذه الكلمة أي الاستثناء تعني أن الانسان إذا سؤل هل انت مؤمن؟، لا يمكن له أن يثبت الإيمان لنفسه لكن يجب عليه أن يربطه بمشيئة الله تعالى، وله أن يقول أنا مؤمن إن شاء الله تعالى، وإن الاستثناء يكون في المستقبل، ولا يكون في الماضي والحاضر، استدلالاً بقوله تعالى: (ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً، إلا أن يشاء الله)، وإن الله تعالى له المشيئة في كل شيء. وأما القاضي عبد الجبار لم اجد له قولاً في الاستثناء في الإيمان اثناء البحث في مؤلفاته.

الكلمات الافتتاحية: الكلام، القاضي عبد الجبار، القاضي الباقلاني، الإيمان، الكفر، الفسق، الكبائر.

عدد الصفحات: 107+VI

المشرف: الدكتور متين يلدز

(رسالة الماجستير)

فراس نجم عبدالله

جامعة وان يوزنجويل

معهد العلوم الاجتماعية

2020, ايلول

الإيمان عند القاضي عبد الجبار والقاضي الباقلاني

ملخص

الإيمان من المسائل المهمة في الدين الإسلامي، بل هو الركيزة الأساسية التي يقوم عليها الدين، والإيمان له معان كثيرة من الناحية اللغوية وكذلك الشرعية، والإيمان هو ما اطمأن له القلب، الإيمان من الناحية الشرعية والذي نحن في صدد، وللعلماء آراء وأقوال مختلفة في معنى الإيمان منهم من قال أن الإيمان هو اعتقاد بالقلب فقط، ومنهم من قال هو اعتقاد وقول باللسان، ومنهم من قال الإيمان هو اعتقاد بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح، وهذا الأخير هو الذي عليه القاضي عبد الجبار المعتزلي والقاضي الباقلاني الأشعري (رحمهم الله)، وعندهم العمل ضمن الإيمان، وإن سبب الخوض في هذه المسألة بين العلماء وخصوصاً أهل الكلام هو أن صاحب الكبيرة هل هو مؤمن أم كافر، وللقاضي عبد الجبار قول في هذا، حيث أن صاحب الكبيرة لا مؤمن ولا كافر وإنما هو منزلة بين المنزلتين، لا يمكن أن يقال له مؤمن لما فيه من المعاصي والذنوب من الكبائر، ولا يمكن أن يقال له كافر لما فيه من الأعمال الصالحة. وأما مسألة الكفر فللقاضي عبد الجبار قول فيها وهو ارتكاب الذنب أو المعصية والعلم بحكمها وكذلك بدون ضغوط عليه، ومن الأمور الأخرى المتعلقة بالكفر هي أن الإنسان إذا لم يثبت ما أثبتته الله تعالى لنفسه فهو كافر، وكذلك إذا نفى ما أثبتته الله تعالى لنفسه أيضاً يكون كافر،

pressure on him, and among other matters related to disbelief is that if a person does not prove what God Almighty has proven for himself, then he is an infidel, and likewise if he denies what God Almighty has proven for himself as well, he is an infidel. Likewise, Al-Baqlani has a saying on this issue as well, disbelief has different parts, including my belief and its place in the heart, such as if non-belief in an attribute of God Almighty, and another part is disbelief in deeds, disbelief in words and this is related to speech and transgression against God Almighty and the Prophet. Likewise, one of the matters related to faith is the status between the two statuses, this name means that the owner of the major sins and sins is not called an unbeliever and he is not called a believer. Judge Abdul Jabbar says about this because it is one of the five principles that the Mu'tazila must have, and Judge al-Baqlani does not say this original meaning the status Between the two statuses, that is, the slave is either a believer or an infidel, and therefore he has the owner of the oldest who believes in his good deeds and does not disbelieve. Likewise, Judge Abdul-Jabbar has a say in the increase and decrease of faith, where he says that deeds are part of faith, so the more deeds increase, the more faith increases, and vice versa, the smaller the deeds, the decrease in faith Decreases, and this saying is for those who say that works are not within faith. As for the issue of exception, Judge Al-Baqlani has a say in it, and this word, meaning exception, means that if a person is asked: Are you a believer?, He cannot prove the faith for himself, but he must link it to the will of God Almighty, and he may say I am a believer, God Almighty willing, and if The exception is in the future, and it is not in the past and the present, and that God Almighty has the will in everything .

Keywords: Al-Kalam, Judge Abdul-Jabbar, Judge Al-Baqalani Faith Disbelief Debauchery.

Quantity of Page: VI +107

Supervisor: Dr. Öğretim Üyesi Metin YILDIZ

(M. Sc. Thesis)
Firas Najm ABDULLAH
VAN YÜZÜNCÜ YIL UNIVERSITY
INSTITUTE OF SOCIAL SCIENCES
September, 2020

FAITH AT JUDGE ABDUL-JABBAR AND JUDGE AL-BAQLANI

ABSTRACT

Faith is one of the important issues in the Islamic religion, rather it is the main pillar on which religion is based, and faith has many meanings in terms of linguistic as well as legitimacy, and faith is what reassures the heart, faith from the legal point of view, which we are about, and scholars have different opinions and sayings about the meaning of faith. Some of them said that faith is a belief in a title only, and some of them said it is a belief and a saying by the tongue, and some of them said faith is a belief in the heart and a saying by the tongue and acting with the prey, and the latter is what Judge Abdul Jabbar Al-Mu'tazili and Judge Al-Baqlani Al-Ash'ari should have. They have to work within faith, and the reason for discussing this issue among scholars, especially the people of speech, is that the owner of the older woman is he a believer or an infidel, and Judge Abdul-Jabbar has a say in this, since the owner of the older woman is neither a believer nor an infidel, but rather he is between the two statuses. He is called a believer because of the sins and sins that he contains among the major sins, and he cannot be called an unbeliever because of the righteous deeds that he contains, and if God repents, he will repent, and if he dies before he repents then he is eternal in the fire of Hell and the intercession of the Prophet Muhammad does not include him, As for Judge Al-Baqlani, his opinion contradicts this saying, as he does not disbelieve the owner of the great and he believes in what he has of the righteous deeds, and even if he dies and does not repent, he will not be among the immortals in Hell but, God willing, he will be forgiven or include the intercession of the Prophet, the martyrs, or whoever has The right to intercession, or torture him in Hell, then remove him from it and enter Heaven with His mercy. As for the issue of disbelief, Judge Abdel-Jabbar has a say in it, which is committing a sin or sin and knowing its ruling as well as without

görüşü şöyledir; küfür hiçbir baskı altında kalmadan hükmünü bile bile büyük günah işleyerek Allah'a isyanda bulunmaktır. Başka bir açıdan küfür; Allah'ı Teâla'nın kendi nefesine ispat ettiği şeyleri ona ispat etmemek veya bunları inkâr etmektir. el-Bâkılânî de bu konuda görüş bildirmiştir. Ancak el-Bâkılânî küfrü farklı kısımlarda ele almıştır. Biri itikâdî olandır ki mekânı kalptir. Diğer ameli ve kavli (sözlü) küfürdür. Bu ise söz ve eylemler ile Yüce Allah ve Peygamber'e (s.a.v) karşı çıkıp haddi aşmaktır. İmanla ilgili meselelerden biri de el-menziletu beyne'l-menzileteyndir. Nitekim bu kavramla kast edilen büyük günah işleyene ne mü'min ve ne de kâfir denilemeyeceğidir. Kadî Abdülcebbar bu görüştedir. Zira bu görüş mutezilenin beş temel ilkelerinden biridir. el-Bâkılânî ise bu ilkeyi (el-menziletu beyne'l-menzileteyn) kabul etmez. Çünkü ona göre kişi ya mü'mindir ya da kâfirdir. Bu nedenle salih ameller işlediğinden dolayı büyük günah işleyen kişi mü'mindir ve tekfir edilemez.

Anahtar Kelimeler: Kelam, Kadî Abdülcebbar, Kâdî Bakılânî, İman, küfür, fık, büyük günah.

Sayfa Sayısı: VI +107

Tez Danışman: Dr. Öğr. Üye. Metin YILDIZ

(Yüksek Lisans Tezi)

Firas Najm ABDULLAH

VAN YÜZÜNCÜ YIL ÜNİVERSİTESİ

SOSYAL BİLİMLER ENSTİTÜSÜ

Eylül, 2020

**KÂDÎ ABDÜLCEBBÂR VE KADÎ BÂKILLÂNÎ’NİN İMAN
ANLAYIŞI**

ÖZET

İman meselesi İslam dininde mühim meselelerden biridir. Öyle ki iman konusu dinin, üzerine bina edildiği temel dayanaştır. İman kelimesi sözlük ve terim olarak birçok anlama gelmektedir. İman kalbin kendisinde itminan (huzur ve sükûnet) bulunduğu şeydir. Bizim de konumuz olan imanın şer’i anlamı konusunda ise âlimlerin farklı görüşleri vardır. Nitekim bazıları imanın sadece kalp ile tasdik olduğunu bazıları imanın kalp ile tasdik ve dil ile ikrar olduğunu ve bazılarının ise kalp ile tasdik dil ile ikrar ve organlarla yapılan amellerden ibaret olduğunu söylemişleridir. İşte bu sonuncu görüş, Eş’ari âlimi Kadı el-Bâkılânî’nin ve Mu’tezile âlimi Kadı Abdülcebbar’ın benimsedikleri görüştür. Onlara göre amel imandandır. Bu meselenin âlimler ve özellikle kelimciler arasında tartışılmasının sebebi büyük günah işleyen kimse mü’min mi kâfir midir? konusudur. Kadı Abdülcebbar bu konuda görüş bildirmiştir. Nitekim ona göre büyük günah işleyen kişi ne mü’mindir ve nede kâfirdir o, el-menziletu beyne’l-menzileteyn olarak tabir edilen iman ile küfür arasında bir konumdur. Ona mü’min diyemeyiz çünkü kendisinde büyük günah ve isyan sadır olmuştur. Kâfir de diyemeyiz çünkü amel-i salih işlemiştir. Şayet tövbe ederse Allah kabul eder. Tövbe etmeden ölürse ebedi cehennem ateşinde kalır ve peygamberin (s.a.v.) şefaatine de mazhar olmaz. Kadı el-Bâkılânî’nin görüşü ise bundan farklıdır. Nitekim el-Bâkılânî’ye göre büyük günah işleyen kişi yaptığı güzel amelden dolayı mü’mindir. Tövbe etmeden ölürse dahi ebedi olarak cehennemde kalmaz. Allah dilerse ya af eder veya peygamberler, şehitler ve kendisine şfaat hakkı verilenlerin şefaatine mazhar kılar veya Allah dilerse onu cehenneme koyarak cezalandırır sonra oradan çıkartır ve rahmetiyle onu cennetine koyar. Küfür meselesine gelince Kâdî Abdülcabbar’ın bu konudaki

ETİK BEYAN SAYFASI

Tez Yazım Kurallarına uygun olarak hazırladığım bu tez çalışmada;

- Tez içinde sunduğum verileri, bilgileri ve dokümanları akademik ve etik kurallar çerçevesinde elde ettiğimi,
- Tüm bilgi, belge, değerlendirme ve sonuçları bilimsel etik ve ahlak kurallarına uygun olarak sunduğumu,
- Tez çalışmada yararlandığım eserlerin tümüne uygun atıfta bulunarak kaynak gösterdiğimi,
- Kullanılan verilerde herhangi bir değişiklik yapmadığımı,
- Bu tezde sunduğum çalışmanın özgün olduğunu

bildirir, aksi bir durumda aleyhime doğabilecek tüm hak kayıplarını kabullendiğimi beyan ederim (18/09/2020).

18/9/2020

Fıras Najm ABDULLAH

KABUL VE ONAY SAYFASI

Yüksek Lisans öğrencisi FIRAS NAJM ABDULLAH tarafından hazırlanan Kadî Bâkılânî ve Kadî Abdülcebbar'ın İman Anlayışı, adlı tez çalışması aşağıdaki jüri tarafından OY BİRLİĞİ ile Van Yüzüncü Yıl Üniversitesi Temel İslam Bilimleri Anabilim Dalında YÜKSEK LİSANS TEZİ olarak kabul edilmiştir.	
Danışman: Dr. Öğr. Üyesi Metin YILDIZ Temel İslam Bilimleri Anabilim Dalı Van Yüzüncü Yıl Üniversitesi Bu tezin, kapsam ve kalite olarak Yüksek Lisans Tezi olduğunu onaylıyorum/onaylamıyorum	
Başkan: Doç Dr. Mehmet KESKİN Temel İslam Bilimleri Anabilim Dalı Van Yüzüncü Yıl Üniversitesi Bu tezin, kapsam ve kalite olarak Yüksek Lisans Tezi olduğunu onaylıyorum/onaylamıyorum	
Üye: Dr. Öğr. Üyesi Ekrem UYSAL Temel İslam Bilimleri Anabilim Dalı Batman Üniversitesi Bu tezin, kapsam ve kalite olarak Yüksek Lisans Tezi olduğunu onaylıyorum/onaylamıyorum	
Tez Savunma Tarihi:	18/09/2020
Jüri tarafından kabul edilen bu tezin Yüksek Lisans Tezi olması için gerekli şartları yerine getirdiğini ve imzaların sahiplerine ait olduğunu onaylıyorum. Doç. Dr. Bekir KOÇLAR Sosyal Bilimler Enstitüsü Müdürü	

T.C
VAN-YÜZÜNCÜ YIL ÜNİVERSİTESİ
SOSYAL BİLİMLER ENSTİTÜSÜ
TEMEL İSLAM BİLİMLERİ ANABİLİM DALI

**KÂDÎ ABDÜLCEBBÂR VE KADÎ BÂKILLÂNÎ’NİN İMAN
ANLAYIŞI**

YÜKSEK LİSANS TEZİ

Hazırlayan
FIRAS NAJM ABDULLAH

Danışman
Dr. Öğr. Üye. Metin YILDIZ

VAN – 2020